نعيم الحب

و

عذاب المحبين

تأليف

الشيخ / منير محمد صالح بابقي

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

ح منير محمد صالح بابقي . ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

بابقي ، منير محمد صالح

نعيم الحب وعذاب المحبين ./ منير محمد صالح بابقي . جدة
١٤٢٨ هـ

..ص؛ ..سم

ردمك: ٢-٢٣٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الفضائل الإسلامية ٢- الأخلاق الإسلامية أ.العنوان

ديوي ٢١٢،٢ ١٤٢٨/٤٨٠٨

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٤٨٠٨

ردمك: ٢-٢٣٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

المبحث الثاني: أثار المحبة وتوابعها

المبحث الثالث: القلب والحب

المبحث الرابع: نعيم الحب

المبحث الخامس : نموذجان مشرفان لنعيم الحب

المبحث السادس : نعيم الحب للجنة

المبحث السابع عذاب المحبين

المبحث الثامن والأخير

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، نفخ فيه من روحه، وجعله مكرماً على سائر المخلوقات، بإيمانه بالله وبسائر أركان الإيمان خلق النفس وأمر بتزكيتها، وجعل القلب ملك الأعضاء وأمره بتطهيره من الشرك والمعاصي، وجعله في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، القلب وما أدراك ما القلب لا يطمئن إلا بذكر الله ولا يأنس إلا بطاعة الله ولا يجد نعيم الحب إلا بـ(لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله.

ونعم الله على الإنسان وغيره من المخلوقات نعماً عظيمة: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨ ﴾ (سورة النحل الآية ١٨). ومن هذه النعم العظيمة (نعمة الحب) فهو نعمة ومنة من الله تعالى، يعيش المحبون في ظلالها ويسعدون بجمالها ويتذوقون لذتها بشرط أن يعرفوا الطريق إلى نعيم الحب وأن يسلكوا الطريق الذي بينه الله تعالى وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى كل من يريد نعمة الحب وسعادته ولذته أن يسير في الطريق الذي وضحه خالق الإنسان وإلا فإن هذا الحب ينقلب إلى عذاب وإلى شقاء وإلى ذل وإلى هوان كما قال الشاعر وصدق فيما قال:

فما في الكون أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق
تـــــراه باكياً في كـــل حين ... مخافة فرقة أو لاشتيـــاق
فتسخن عينه عند الفـــــراق ... وتسخن عينه عند التلاقي

فالحب عندما يكون لغير الله ولغير ما يحبه الله يكون عذابا ولهذا فإن الإنسان يجب عليه أن يعلم بل يتيقن أن من أحب غير الله تعالى وتعلق قلبه بغير الله فإن الله يعذبه بذلك المحبوب فيعيش في شقاء وهم وغم لا ينام ليله ولا يهدأ نهاره فقلبه مشغول وفكره مشتت وعينه باكية ووقته ضائع، ويكفي المرء المسلم أن يسمع عن مصارع العشاق ومصارع الهوى.

فكم للحب المزعوم من قتيل. وكم له من أسير، وكم له من جريح، إنه قتيل الهوى وأسير الحب، إنه ميت لم يجد طعم الحياة ولا لذة الحب ونعيمه، إنه كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

أموات بالكفر وقد أمروا بالإيمان، وأموات بالمعصية وقد أمروا بالطاعة، إنهم أموات بحب غير الله وبحب غير ما أمر الله به أن يحب.

أيها الأخوة الكرام الأحبة: تعالوا لكي نرى الطريق إلى نعيم الحب، كيف وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف وجده أبو بكر رضي الله عنه وكيف عاشه عمر رضي الله عنه وسائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا لكي نرى كيف يكون الحب عذاباً على الإنسان بل على البشرية جمعاء إذا كان في غير طريقه الصحيح وفي هذا الكتاب المسمى بـ(**نعيم الحب وعذاب المحبين**) قسمت الكتاب إلى ثمانية أبحاث تكلمت في المبحث الأول عن وقفات مع الحب والمحبين وبينت فيه أهمية هذا الموضوع وخطورته ومنزلة المحبة وأنواعها والحب والشرف، ولم أنسَ الحديث عن الكيفية الصحيحة لإشباع

العاطفة القلبية، وفي المبحث الثاني تكلمت عن المحبة المحمودة والمحبة المذمومة وآثارهما.

ثم تناولت في المبحث الثالث القلب والحب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، وفي المبحث الرابع بينت حقيقة نعيم الحب وذكرت نماذج للمتنعمين بالحب وتكلمت فيه عن الحب لله والحب للرسول صلى الله عليه وسلم وحب الصحابة رضي الله عنهم وحب القرآن والذكر والدعاء وحب العبادات وحب الزوجة الصالحة والذرية.

وذكرت في المبحث الخامس نموذجين مشرِّفين لنعيم الحب في حياة يوسف عليه السلام وحياة مصعب بن عمير رضي الله عنه.

وفي المبحث السادس بينت نعيم الحب للجنة وذكرت آيات وأحاديث في وصف الجنة وأنهارها وأشجارها جعلنا الله وإياكم من أهل الفردوس الأعلى من الجنة، ثم انتقلت في المبحث السابع وتكلمت عن عذاب المحبين وبينت الأسباب العامة لعذاب المحبين وذكرت أصنافاً لعذاب المحبين كمحبي الشهوات المحرمة وعذاب العشاق وعذاب المحبين للتبرج والاختلاط وعذاب المحبين للغناء والموسيقى إلخ. وتكلمت عن عذاب المحبين لفاحشة الزنا ولم أنس الحديث عن أخطار السفر والسياحة المحرمة.

وختمت الكتاب بالمبحث الثامن بعنوان العلاج المهم والضروري لعذاب المحبين. وأسأل الله تعالى القبول والإخلاص، وأن ينفع الله تعالى بهذا الكتاب المسلمين والمسلمات ويوفقهم لما يحبه ويرضاه.

الشيخ

منير محمد صالح بابقي

* * *

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى والدي الكريمين داعياً لهما بالتوفيق والسعادة والهداية والصحة وأن يغفر الله لهما ويرحمهما كما ربياني صغيرا.

وإلى زوجتي الفاضلة: سماح بنت محمد عبدالله طرموم.

وإلى أبنائي الأحبة: أنس، وإيناس، وصهيب.

وإلى كل مؤمن ومؤمنة، لكي يعيشوا مع هذا الكتاب لينتفعوا به ويعملوا به.

المبحث الأول

وقفات مع الحب والمحبين

١. أهمية هذا الموضوع وخطورته :

إن مما ينعم به المحبون أن يكون حبهم خالصاً لله تعالى لا لشهوة في النفس ولا لجمال في الصورة ولا لمصلحة شخصية وإنما للإيمان والتقوى، وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أحب إنساناً في الله فليخبره بأنه يحبه وعلى الآخر أن يقول له: أحبك الله الذي أحببتني فيه.

فيا أخوتي في الإسلام، الإسلام إيمان وقول وعمل والإسلام دين الحب الرفيع الحب السامي الحب العظيم، الحب لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن وقع الناس في الخطأ وانقلبت الموازين عندما وضع الناس الحب في غير موضعه الصحيح.

لقد وقع الناس في أخطار وأخطاء عظيمة عندما لم يجعلوا هذا الحب كما أمر الله تعالى وكما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فباسم الحب أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، وباسم الحب وقع الناس في الرذيلة وباسم الحب وقع بعضهم والعياذ بالله في الفاحشة.

باسم الحب ضيعت الصلاة والعبادات.

كم أضاع الحب المزيف الحب المحرم من الصلوات، كم شتت من الأفكار، كم أهدر من الطاقات.

باسم الحب تنشأ العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة وتنشأ المعاكسات والأخطار، والضحية الأولى هي المرأة، يغريها الرجل باسم الحب والغرام.

باسم الحب المزيف عصى الولد أباه وباسم الحب والغرام خرجت البنت عن طاعة والديها.

كم أضاع الحب المزيف المحرم من شباب وفتيات.

كم شتت من أسر، كم فرق من كلمة، كم أهدر من كرامة، كم بدد من أموال إنها خسارة وخسارة، عذاب وتعاسة وشقاء، لا مخرج للبشرية منها إلا بالرجوع إلى طاعة الله إلى الحب الحقيقي الذي يدعو إليه الإسلام، الحب الذي يبيع فيه الإنسان نفسه وأهله وماله وولده لله، يعمر وقته بطاعة الله، يحفظ جوارحه عما حرم الله.

ففرق والله عظيم بين من يبيع نفسه لله وللدين وبين من يبيع نفسه وأهله وماله وولده ووقته بل عمره وحياته للشيطان، يبيعها لشياطين الإنس والجن، يبيع نفسه وما يملك للهوى والشهوة المحرمة.

يقول ابن حزم رحمه الله: لا تبع نفسك إلا فيما هو أغلى منها وليس ذلك إلا في ذات الله وبائع نفسه بعرض من عروض الدنيا كبائع الياقوت بالحصى. وأعظم من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾.[1] فأي البيعتين تريد يا أخي المؤمن؟ وأي البيعتين تريدين يا أختي المؤمنة؟

ويقول عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ :

بغض الحياة وحب الموت أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمناً

[1] ـ سورة البقرة الآية ٢٠٧

إني وزنت الذي يبقى ليعد له ما ليس يبقى فما والله ما اتزن

٢.منزلة المحبة :

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون: وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون، وبرَوْح نسيمها تروَّح العابدون.

فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي سمة هذه الطائفة المسافرين إلى ربهم الذين ركبوا جناح السفر إليه، ثم لم يفارقوه إلى حين اللقاء.[1]

٣.المحبة في اللغة :

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه المادة (أي المحبة) تدور في اللغة على خمسة أشياء:

أحدها: الصفاء والبياض.

الثاني: العلو والظهور.

الثالث: اللزوم والثبات.

الرابع: اللب.

[1] ـــ تهذيب مدارج السالكين كتبه ابن قيم الجوزية وهذبه عبدالمنعم العزي ص٥٠٩

الخامس: الحفظ والإمساك. ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة.[1]

٤. تعريف الجنيد (رحمه الله) **للمحبة:**

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومِنْ أجمعِ ما قيل فيها ما ذكره أبو بكر الكتاني، قال: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم ـ فتكلم الشيوخ فيها ـ وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا: هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله. فهو بالله ولله ومع الله.

فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد.

٥. أنواع المحبة والمحبة الطبيعية:

والمحبة أنواع متعددة فأفضلها وأجلها: المحبة في الله ولله، وهي تستلزم محبة ما أحب الله وتستلزم محبة الله ورسوله.

ومنها محبة الاتفاق في طريقة أو دين أو مذهب أو نِحْلَة أو قرابة أو صناعة أو مرادٍ ما.

ومنها: محبة لنيل غرض من المحبوب، إما من جاهه أو من ماله أو من تعليمه وإرشاده، أو قضاء وطر منه، وهذه هي المحبة العَرَضِية التي

---

[1] ـــ المصدر السابق ص ٥١١ ـ ٥١٢

تزول بزوال موجبها فإنَّ مَن ودَّك لأمر، ولى عنك عند انقضائه.[1]

٦. الحب الصادق:

دعونا إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات نعيش مع مشهد يصور لنا نعيم الحب الصادق وهو قصة النفر الثلاثة الذين دخلوا الغار ثم أغلق عليهم....

فقال أحدهم اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكنت أحبها حباً شديداً فأردتها عن نفسها (أي أراد والعياذ بالله أن يفعل بها فاحشة الزنا) فامتنعت حتى إذا ألّمتْ بها سنة (أي أصابها الاحتياج إلى المال) جاءته فرفض أن يعطيها حتى تمكنه من نفسها.[2]

فلما تمكن منها وكما يصور لنا الحديث الشريف قال: فلما قعدتُ منها قعود الرجل من أهله، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، إنه الإيمان أنه الخوف أنها المراقبة العظيمة لله من هذه المرأة المؤمنة الصالحة العفيفة الطاهرة عندما ذكّرته تلك المرأة الصالحة القانتة الداعية التي عاشت في ظل الإيمان وتربت على نور الهداية تركها وقال: تركتها ولم أخذ مالي وهي أحب الناس إلي.

نعم تحقق الآن الحب الصادق، نعم في هذه الحالة تحقق نعيم الحب ولذته للرجل لأنه ترك الحرام لله وتحقق من هذا الشاب الحب الحقيقي الحب الصادق لأن الذي يحب إنسان لا يمكن أن يضره أو يلحق به أذى وخاصة في عرضة.

---

[1] ـــ زاد المعاد لابن القيم ص٢٧٠ ـــ ٢٧١ .

[2] ـــ هذا هو عذاب الحب أنه يحبها ولكن لشهوة في نفسه ولمرض في قلبه وبالتالي فهو معذب بهذا الحب.

٧ـ الغيرة والحب والشرف:

إن أغلى ما في الإنسان بعد إيمانه وأخلاقه عِرضه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : من قتل دون عرضه فهو شهيد) لأن العرض هو الشرف وهو العزة وهو الكرامة وهو السعادة.

ولهذا يجب على المسلمين والمسلمات أن يغاروا على إعراضهم أن يغاروا على بناتهم أن يغاروا على نسائهم وزوجاتهم غيرة كغيرة سعد غيرة تمنع النساء من التبرج والسفور، تمنعهن من الاختلاط بالرجال، وتمنعهن من فتنة الرجال وخاصة الشباب أو الافتتان بهن، غيرة تمنعهن من لبس القصير أو الضيق أو الخروج بغير محرم، غيرة تمنع من المعاكسات ومن العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، غيرة تمنعهن من الوقوع في الزنا وما يقرب منه، لأن الزنا اعتداء على حق الله وحق المرأة وحق أهلها وحق الزوج فهي فاحشة تفحش في العقل والفطرة والدين وسبب في غضب الله وأليم عقابه.

فإذا ماتت الغيرة على الأعراض فإن هذا نذير بلاء وفساد وشر كما حصل في بلاد الكفر، وقد قال الشاعر:

أصوان عِرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض بالمال

٨ـ التشبه بالمحبين (المرء مع من أحب):

وجد الصحابة الكرام رضي الله عنهم نعيم الحب عندما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب).... فأحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأحبوا أهل الإيمان حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فرَحَنَا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المرء مع من أحب، فأنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر .... رضي الله عنهما وأرجو أن يبعثني معهم وإن لم أعمل كعملهم.[1]

فيا عبد الله ويا أمة الله يامن تريدون نعيم الحب ونعيم الجنة عليكم أن تحبوا الصالحين وتحبوا أهل الخير والاستقامة حتى تسعدوا وتُحشروا معهم، وأن لا تحبوا أهل الكفر والفسوق وكونوا كالإمام الشافعي رحمه الله تعالى الذي قال متواضعاً ومبيناً الطريق الصحيح في السير نحو نعيم الحب:

أحب الصالحين ولست منهم　　وأرجو أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي　　ولو كنا سواءً في البضاعة

٩. محبتك في قلوب الخلق:

مِن صور نعيم الحب أن يجعل الله لك محبة في قلوب الخلق ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة مريم الآية ٩٦).

قال ابن عباس رضي الله عنه : محبة في قلوب الخلق. (وكذلك ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض) رواه مسلم.[2]

---

[1]- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مجلد ١ ص٥٢٤ .

[2]- رياض الصالحين للإمام النووي ص١٩٥ .

١٠. الكيفية الصحيحة لإشباع العاطفة القلبية :

فرِّغ الحب الذي في قلبك والعاطفة الجياشة التي بين جوانحك أيها الإنسان سواء كنت ذكراً أم أنثى في حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرغه في طاعة الله بالمحافظة على الواجبات وترك المحرمات والقيام بالنوافل حتى يحبك الله. لا تدَّعي محبة الله وأنت تعصيه عليك أن تستقيم وإذا عصيت فأمسح أثر المعصية بالتوبة الصادقة.

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

اجعل حبك للناس من أجل إيمانهم وأخلاقهم كما قال حبيبك صلى الله عليه وسلم : (وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله) حديث صحيح. لا يحبه بسبب جمال ولا لشهوة في النفس تجر إلى الفواحش ولا مال ولا مصلحة شخصية أو منفعة عاجلة ولا لسبب من أسباب الدنيا وحتى يستقيم لك التنعم بالحب فعليك أن تكره الكفر وأهله فتبغضهم في الله وتكرههم من أجل لا إله إلا الله.

١١. أي المحبتين تريد (متحابون في الجنة ومتحابون في الجحيم) :

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : وقد استقرت شريعته سبحانه أن حُكَم الشيء حكُم مثله فلا تفرق شريعته بين متماثلين ولا تجمع بين متضادين وهذا كما أنه ثابت في الدنيا فهو كذلك يوم القيامة قال تعالى : ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الصافات الآية ٢٢ ، ٢٣).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: أن أزواجهم أشباههم ونظراؤهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة التكوير الآية ٧).

أي قُرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره فقُرن بين المتحابين في الله في الجنة، وقُرن بين المتحابين في طاعة الشيطان في الجحيم، فالمرء مع من أحب شاء أو أبى، وفي مستدرك الحاكم: (لا يحب المرء قوماً إلا حُشر معهم).[1]

١٢.كيف تكون علاقة الحب والعشق اعتداء وظلم على أعراض الناس؟

والجواب على هذا السؤال المهم هو: إن في إظهار المبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه، فإن استعان عليه بمن يستميله إليه، إما برغبة أو رهبة تعدى الظلم وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثاً ظالماً، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الرائش - وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي لإيصال الرشوة - فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة؟ فيساعد العاشق والمعشوق مع غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس أو مال أو عِرض، فإنَّ كثيراً ما يتوقف حصول غرضه المطلوب على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه، وكم قتيل طُلَّ (أي أهدر) دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب؟ وكم خُببت (أي أفسدت) امرأة على بعلها

---

[1] - قال محقق الزاد الشيخ شعيب الأرنؤوط والشيخ عبدالقادر الأرنؤوط أخرجه أحمد والنسائي إلى قولهما: لكن يشهد له حديث ابن مسعود عن أبي يعلى، والطبراني عن أبي أمامة وهو بهما صحيح. زاد المعاد ج٤ ص٢٧٠ .

وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه، وهو من أكبر الكبائر.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه وأن يسوم على سومه، فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وأمَتِه حتى يتصل بهما؟[1]

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أنه من السبع الموبقات قذف المحصنات المؤمنات الغافلات.[2] أي رمي العفيفات الطاهرات بالزنا، فكيف بمن يتعرض لهؤلاء النسوة ويوقعهن في الحب والغرام لكي ينال من شرفهن وعرضهن؟

فليحذر الذين يلعبون بأعراض النساء، وعواطفهن من عقوبة الله العاجلة والآجلة، فإن هذا من الظلم، والظلم يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة.

١٣. طريق وقوع المحبة الفاسدة:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: فلا تقع المحبة الفاسدة إلا من جهل أو اعتقاد فاسد أو هوى غالب، أو ما تركَّب من ذلك وأعان بعضه بعضاً، فتتفق شبهة وشهوة، شبهة يشتبه بها الحق بالباطل وتزين له أمر المحبوب وشهوة تدعو إلى حصوله، فيساعد جيش الشبهة والشهوة على جيش العقل والإيمان والغلبة لأقواهما.[3]

---

[1] -ففروا إلى الله لعبدالمنعم بن حسين القلموني مكتبة ابن تيمية ص١٤٧ .

[2] - رياض الصالحين للإمام النووي ص ٥٥٨ وهو حديث صحيح.

[3] - الداء والدواء للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني

أثار المحبة وتوابعها

يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم وأحكام سواء كانت محمودة أو مذمومة نافعة أو ضارة. (وسوف أبين هذا الموضوع من خلال العناصر التالية):

أ. والمحبة المحمودة:

هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان السعادة.

وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه وآخرته وهي عنوان شقاوته.[1]

ب. الحي العاقل لا يختار ما يضره ويشقيه:

ومعلوم أن الحي العاقل لا يختار ما يضره ويشقيه، وإنما يصدر ذلك عن جهل وظلم، فإن النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم من الإنسان لنفسه.

إما بأن تكون جاهلة بحال محبوبها بأن تهوى الشيء وتحبه غير عالمة بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم، وإما عالمة بما في محبته من المضرة لكن تؤثِرُ هواها على علمها وقد تتركب محبتها من أمرين اعتقاد فاسد وهوى مذموم وهذا حال مَن اتبع الظن وما تهوى النفس.

[1] الداء والدواء للإمام المحقق العلامة ابن القيم تحقيق علي حسن عبدالحميد دار ابن الجوزي ص ٣١٢، ص٣١٣ .

ج. حكم توابع المحبة المحمودة والمذمومة:

ويتابع ابن القيم كلامه في توابع المحبة المحمودة والمذمومة فيقول رحمه الله وإذا عُرف هذا فتوابع كل نوع من أنواع المحبة له حكم متبوعه، فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له، حكمها حكم متبوعها، فإن بكى نفعه، وإن حزن نفعه، وإن فرح نفعه، وإن انقبض نفعه، وإن انبسط نفعه، فهو يتقلب في منازل المحبة وأحكامها في مزيد وربح وقُربة.

والمحبة الضارة المذمومة توابعها وآثارها كلها ضارة لصاحبها مُبعدة له من ربه، كيفما تقلب في آثارها ونزل في منازلها فهو في خسارة وبُعد.[1]

وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية، فكل ما تولد من الطاعة فهو زيادة لصاحبها وقربة، وكل ما تولد عن المعصية فهو خسران لصاحبه وبُعد قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (التوبة ١٢٠، ١٢١).

---

[1] - المصدر السابق ص ٣١٣ .

فأخبر سبحانه في الآية الأولى أن المتولّد عن طاعتهم وأفعالهم يُكتب لهم به عمل صالح، وأخبر في الثانية أن أعمالهم الصالحة التي باشروها تكتب لهم أنفُسها.

والفرق بينهما: أن الأول ليس من فعلهم، وإنما تولد عنه، فكُتب لهم به عمل صالح، والثاني نفس أعمالهم فكُتبت لهم.

فليتأمل قتيل المحبة هذا الفصل حق التأمل ليعلم مَالَه وما عليه:

سيعلمُ يومَ العَرْض أيَّ بضاعةٍ أضاع وعند الوزن ما كان حصَّلا[1]

د. أنواع المحبة والمحبة الطبيعية:

وها هنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينهما: وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينهما:

أحدها: محبة الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب ولا تستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة الطبيعية: وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألْهَتْ عن ذكر

[1] – المصدر السابق ص ٣١٤ .

الله، وشَغَلتْ عن محبته كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة المنافقون الآية ٩)، وقال تعالى: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة النور الآية ٣٧).[1]

* * *

[1] - الداء والدواء لابن القيم ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ بتصرف.

المبحث الثالث

القلب والحب

أ. طعام القلب وشرابه : المعرفة والمحبة لله

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: القلب يمرض كما يمرض البدن وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويَعْرَى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة.[1]

ب. القلب الحائر بين الإيمان والهوى

اعلم أن القلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

القلب الأول:

قلب عُمِّر بالتقوى، وزُكِّي، وطُهِّر عن خبائث الأخلاق فتتفرج فيه خواطر الخير من خزائن القلب فيمده الْمَلَكُ بالْهُدى.

القلب الثاني:

قلب مخذول، مشحون بالهوى مندَسٌّ بالخبائث، ملوث بالأخلاق الذميمة فيقوى فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه، ويضعف سلطان الإيمان، ويمتلئ القلب بدُخان الهوى، فيُعدَمُ النور، ويصير كالعين الممتلئة بالدخان. لا يُمكنها النظر، ولا يؤثر عنده زجر ولا وعظ.

القلب الثالث:

قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى فيدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير.

[1] - الفوائد لابن القيم ص ١٤٧ .

مثاله: أن يحمل الشيطان حملة على العقل، ويُقَوي داعي الهوى ويقول: أمَا ترى فلاناً وفلاناً كيف يطلقون أنفسهم في هواها!! حتى يَعُدَّ جماعة من العلماء فتميل النفس إلى الشيطان، فَيحْمِلُ المَلَك حملة على الشيطان، ويقول هل هلك من هلك إلا من نسي العاقبة، فلا تغترَّ بغفلة الناس عن أنفسهم، أرأيت لو وقفوا في الصيف في الشمس ولك بيت بارد، أكنتَ توافقهم أم تطلب المصلحة؟

أفتخالفهم في حر الشمس، ولا تخالفهم فيما يؤول إلى النار فتميل النفس إلى قول الْمَلَك، ويقع التردد بين الْجُنَدين، إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فمن خُلقَ للخير يُسِّر له، ومن خُلق للشر يُسِّر له، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(سورة الأنعام الآية ١٢٥).[1]

ج. مرض القلب وعلاجه

مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خُلق لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة، وحب الله تعالى وعبادته وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو أن الإنسان عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه كان كأنه لم يعرف شيئاً.

وعلامة المعرفة: الحب، فمن عرفَ الله أحبه.

---

[1] – مختصر منهاج القاصدين للشيخ الإمام أحمد بن عبدالرحمن المقدسي المتوفى سنة ٦٨٩. تحقيق علي حسن عبدالحميد ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

وعلامة المحبة: أن لا يُؤثِرَ عليه شيئاً من المحبوبات، فَمَنْ آثر عليه شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض، كما أن المعدة التي تؤثرُ أكل الطين على أكل الخبز ـ وقد سقطت عنها شهوة الخبز مريضة.

ودواء مرض القلب وعلاجه: مخالفة الهوى.[1]

فياليت شعري هل عرفنا المرض وعلاجه وعملنا بالعلاج النافع؟

د. القلب الفارغ عن محبة الله تعالى

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا يُنفق منه فلا يُستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدِّمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط واغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو في قبضته ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.[2]

[فاحذر يا أخي المسلم واحذرن أيتها الأخوات المسلمات من الوقوع في الأمور العشرة السابقة فإنها لا يُنتفع بها واجعل وقتك وعمرك وقلبك مطمئنين بذكر الله تعالى ومحبته وطاعته، واشغل نفسك بما ينفعك في دينك ودنياك وبما يخدم أهلك وأسرتك ومجتمعك وأمتك الإسلامية].

[1] – مختصر منهاج القاصدين للإمام المقدسي ص ٢٠٢ تحقيق علي حسين عبدالحميد.

[2] – الفوائد للإمام ابن القيم ص ١٦٤.

هـ. أعظم الإضاعات إضاعة القلب

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء والله المستعان.[1]

و. إذا مات القلب لم يشعر بمعصية

العجّب ممن تُعرِضَ له حاجة فيصرف رغبته وهَّمته فيها إلى الله ليقضيها له ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض، وشفائه من داء الشهوات والشبهات، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصية.[2]

فالقلب أيها المسلمون والمسلمات يموت بالجهل ويموت بالإعراض عن طاعة الله والوقوع في معصيته، وهو يمرض بمرض الشهوات ومرض الشبهات، فإذا مات القلب بهذه الأمراض الفتاكة فإنه لا يشعر بمعصية فتجد صاحبه يقع في الكبائر والفواحش والمحرمات ويترك الواجبات وكأنه ما فعل شيئاً والعياذ بالله، فلابد لنا أن نعالج قلوبنا من أمراضها حتى تصبح طاهرة نقية سليمة تُقبل على الخير وتعيش في رحاب الذكر ولا تأنس إلا بطاعة الله، فتسعد في الدنيا وتفوز برضا الله وجنته. وعلاج

---

[1] – الفوائد للإمام ابن القيم ص ١٦٥ .

[2] – المصدر السابق.

القلوب علاج للجوارح فإذا صلحت قلوبنا صلحت جوارحنا وإذا صُلحت قلوبنا وجوارحنا صلحت مجتمعاتنا.

علماً بأن أعداء الإسلام أخزاهم الله لا يريدون صلاح القلوب وطهارتها بل يريدون إفسادها ووقوع أصحابها في الفواحش والزنا وغيرها من المحرمات، إنهم يريدون إفساد كل مسلم ومسلمة بكل وسيلة.

فهل من عودة وأوبة صادقة إلى الله، وهل من إنابة وتدارك قبل أن يهجم علينا هاذم اللذات؟؟

وهل لنا من عزيمة قوية تقف كالجبل الأشم ضد وسائل الإفساد عند أعدائنا؟

ز. تقريب القلوب وإبعادها

تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثر لأثره وكذلك الضلال.

فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدىً، وأعمال الفجور بالضد، وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح، ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء، وأيضاً فإنه البَرُّ، ويحب أهل البرّ، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور.[1]

[1] - المصدر السابق ص ١٨٩ .

المبحث الرابع

نعيم الحب

١. المسلم ونعيم الحب

يجد المسلم نعيم الحب في إيمانه وفي صلاته عندما يقف خاشعاً بين يدي الله تعالى يتدبر القرآن ويسمع كلام الرحمن فينعم قلبه وتطمئن نفسه وتسكن جوارحه.

يجدها في تعظيم الله والرضا به والأنس بالله. يجدها في عظمة الله وكبريائه، يجدها في أسماء الله وصفاته، فلا لذة ولا سعادة ولا نعيم إلا بمعرفة الله تعالى. ولا استقامة إلا باستقامة القلب ولنتأمل إلى نعيم الحب في هذه الأبيات لأبي فراس الحمداني:

فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غِضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هَيِّنٌ	وكل الذي فوق التراب تراب[1]

٢. المسلمة ونعيم الحب

تعيش المسلمة نعيم الحب ويتنعم قلبها بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نعيم قلبك يا مسلمة في الصلوات الخمس وصيام شهرك ومحافظتك على الصلوات الخمسة وحفظك لعفافك، في طاعة زوجك وتربية أولادك التربية الإسلامية الصحيحة، إذا أردت نعيم قلبك فاملئيه حباً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأخواتك المؤمنات.

---

[1] – من كتاب الرجل المثة للشيخ عبداللطيف هاجس الغامدي.

اتركي الاستماع لأقوال أعداء الإسلام واتقي شرورهم.

لا تتشبهي بالكافرات ولا الفاسقات بل تشبهي بالكريمات.

قدوتك عائشة وخديجة وفاطمة ومريم ابنت عمران التي أثنى الله عليها بقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾(سورة التحريم آية ١٢).

صدقت بكلمات ربها فعاشت سعيدة مطمئنة، عاشت عفيفة لم يُدنس شرفُها ولم تُهدر كرامتها ولم تعرف الرذيلة ولا الفاحشة.

٣. نماذج لنعيم الحب

١) نعيم الحب لله تعالى:

أ. كيف نتعلم المحبة لله تعالى؟

يقول الإمام ابن قدامه المقدسي ـ رحمه الله تعالى ـ: إن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضى، ولا قبل المحبة إلا وهو من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها.[1]

وسوف أتكلم في كيفية تعلم محبة الله تعالى من خلال هذه النقاط:

[1] ـ مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ٤٢٨.

ومزينها ومبديها ومعيدها ومرتبها؟ وهل يُتصور أن تكون حضرة في المُلك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بجلالها وكمالها وعجائب أمورها وصف الواصفين؟

واعلم أن أسعد الناس وأحسنهم حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى وأصل الحب لا ينفك عن مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة.

٢. تقوية المحبة لله تعالى

وأما قوة الحب واستيلاؤه فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بشيئين:

أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، فأحد أسباب ضعف حبه قوة حب الدنيا وبقدر ما يأنس القلب بالدنيا ينقص أنسه بالله، وسبيل قطع الدنيا عن القلب سلوك طريق الزهد، وملازمة الصبر والانقياد إليها بزمام الخوف والرجاء، والتوبة والصبر والشكر والزهد وغير ذلك.

السبب الثاني لقوة المحبة لله تعالى:

معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة تبعتها المحبة، ولا يُوصِلُ إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا الفكر الصافي والذكر الدائم والتشمير في الطلب والاستدلال عليها بأفعاله سبحانه، والناس يتفاوتون في الحب لتفاوت المعرفة.[1]

٣. الشوق إلى الله

واعلم أن الشوق ثمرة من ثمار المحبة ومن شواهد الأخيار في الشوق إلى الله تعالى ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّم رجلاً

[1] - مختصر منهاج القاصدين ص ٤٢٨ ـ ٤٣٩ .

دعاءاً وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم، فذكر فيه (أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك).[1]

٤. محبة الله للعبد وأقوى العلامات على محبة الله للعبد

وأما محبة الله تعالى للعبد فاعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على ذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ (سورة الصف آية ٤).

وفي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول: (ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري.

ومن علامة حب الله تعالى للعبد قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه).[2]

وأقوى العلامات على محبة الله تعالى للعبد: حسن التدبير له، يربيه من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينوِّر له عقله، فيتبع كل ما يقرِّبُه، وينفر عن كل ما يُبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره من غير ذل للخلق ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هما واحداً، فإذا زادت المحبة، شغله به عن كل شيء.

---

[1] – مختصر منهاج القاصدين ص ٤٢٨ ـــ ٤٣٩ .

[2] – قال الشيخ علي حسين عبدالحميد محقق مختصر القاصدين: رواه النسائي وأحمد وأبو يعلى وابن حبان عن عمار من طريقين إحداهما بإسناد جيد.

[اللهم إني سألك أن ترزقني والمسلمين والمسلمات حبك وحب من يحبك وكل شيء يقربنا إلى حبك وأن تجعل حبك وحب نبيك وحب دينك ولقاءك أحب الأشياء إلى قلوبنا].

٥ـ محبة العبد لله وأقوى العلاقات عليها

اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد فما أسهل الدعوى وأعز المعنى!! فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس إذا ادَّعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ويطالبها بالبراهين.

ومن العلامات: حب لقاء الله تعالى في الجنة، فإنه لا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته، وهذا لا ينافي كراهة الموت فإن المؤمن يكره الموت، ولقاء الله بعد الموت.

ومنها: أن يكون مُؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله تعالى متقرباً إليه بالنوافل ومن أحب الله فلا يعصيه إلا أن العصيان لا ينافي أصل المحبة إنما يضاد كمالها.

[وهذه علامة مهمة على محبة الله تعالى، فإن الإنسان قد يعرف الحق من الباطل ويعرف الخير من الشر والطاعة من المعصية ولكنه يتبع هواه ولا يخالفه فيجري وراء اللذة العاجلة والشهوة المحرمة ويمارس المعصية ويستمر عليها ولا يتوب منها، ولهذا فإن مخالفة الهوى من أقوى العلامات على محبة الله تعالى. إن عدم اتباع الهوى من أسباب نعيم القلب ودخول الجنة، وتأملوا في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ

الله تعالى في الآية الكريمة الطريق إلى الجنة ألا وهو الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى، لأن اتباع الهوى يعمي ويصم صاحبه عن اتباع الحق والانقياد له].

ومن العلامات: أن يكون مستهتراً (أي مُوْلَعاً) بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره بالضرورة ومِنْ ذكر ما يتعلق به، فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (سورة آل عمران آية ٣١).

وقال بعض السلف: كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فكنت أدمن قراءة القرآن ثم لحقتني فترة فانقطعت فرأيت في المنام قائلاً يقول:

إن كنت تزعم حبي — فلم هجرت كتابي

أما تدبرت ما فيـ — ـه من لطيف عتابي

ومنها: أن يكون أنسُه بالخُلوة، ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، فإن علامة المحبة، كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنَّعم بالخلوة وكمال الاستيحاش من كل ما ينْغُصُ عليه الخلوة.

ومنها: أن يتأسف على ما يفوته من ذكر الله تعالى، ويتنعم بالطاعة لا يستثقلها ويسقط عنه تعبها قال ثابت البناني رحمه الله: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمتُ بها عشرين سنة.

وقال الجنيد: علامة المحبة دوام النشاط.

ومنها: أن يكون شفيقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم شديداً على أعدائه كما قال تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الفتح آية ٢٩).

ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب له صارف.

فهذه علامات المحبة فمن اجتمعت فيه فقد تمت محبته.[1]

ومنها: أن يكون في حبه خائفاً بين الهيبة والتعظيم.

ومنها: كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من إظهار الوَجْد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له.

٦. الأنس بالله وعلامته

اعلم أن من غلب عليه حال الأُنْس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة، لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غيره ويكون أثقل الأشياء على القلب كل ما يعوق عن الخلوة.

قال الواحد بن زيد: قلت لراهب: لقد أعجبتكَ الخلوة، فقال: لو ذُقْتَ حلاوة الخلوة لاستوحشت إليها من نفسك، قلت: متى يذوق العبد الأنس بالله تعالى؟ قال: إذا صفا الود خَلُصَتِ المعاملة، قلت: متى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً في الطاعة.

[فإلى كل مسلم ومسلمة يريد الأنس بالله تعالى فهذا هو الطريق بين أيدينا وليس علينا إلا أن نسلكه].

فإن قيل: ما علامة الأنس بالله؟

قيل علامته الخاصة: ضيق القلب عن معاشرة الخلق، والتبرم

[1] – مختصر منهاج القاصدين ص ٤٤٠ ــ ٤٤٣ .

بهم، وإن خالط فهو كمنفرد غائب مخالط بالبدن منفرد بالقلب.[1]

وكانت امرأة متعبدة تقول: والله لقد سئمت الحياة، حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله تعالى، وحباً للقائه، فقيل لها: فعلى ثقة أنتِ من عملك؟ قالت: لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وأنا أحبه؟

[لكن كما ذكر العلماء أنه لابد أن يكون مع المحبة الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾ (سورة السجدة الآية ١٦).

ب. الأسباب الجالبة لمحبة الله وموجباتها:

ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى، فقال في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

[1] - مختصر منهاج القاصدين للمقدسي ص ٤٤٢ .

الخــامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبَّه لا محالة.

الســادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

الســابع: وهي من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

الثــامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التــاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقي أطايب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحتْ مصلحة الكلام، وعلمتَ أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العــاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.[1]

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب. ومِلاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن. وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق.[2]

ج. فافرح أنت بالله:

إذا استغنى الناس بالدنيا، فاستغن أنت بالله وإذا فرحوا بالدنيا، فافرح أنت بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم، وتقربوا إليهم

---

[1] - وقد قام بشرح هذه الأسباب العشرة: عبدالعزيز مصطفى في كتاب بعنوان (شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما أعدها الإمام ابن القيم).

[2] - تهذيب مدارج السالكين. كتبه ابن القيم وهذبه عبدالمنعم العلي العزي ص ٥١٣ .

لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرَّف أنت إلى الله، وتودد إليه، تنلْ بذلك غاية العزة والرفعة.[1]

٢. نعيم الحب للرسول صلى الله عليه وسلم :

ثبت في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي (سل) فقلت يا رسول الله: أسألك مرافقتك في الجنة فقال (أو غير ذلك) قلت هو ذاك، قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود).[2]

وهذا خبيب رضي الله عنه يضرب لنا أروع المثل في صدق الإيمان ونعيم الحب، يسأله أحد الكفار وقد قدم ليُقتل في سبيل الله، ما رأيك أن يكون محمد (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم) مكانك وأنت بين أهلك وعشيرتك؟ فقال: والله ما أحب أن يشاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة وإني بين أهلي ومالي، فقال ذلك الكافر ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد، وأنشد خبيب رضي الله عنه هذه الأبيات بعد أن صلى ركعتين أنشد..

بقلب المؤمن الصادق بقلبٍ خاشعٍ لله مستشعر لنعيم الجنة ولذة رضا الله عنه

ركضاً إلى الله بغــــير زاد إلا التقى وعمل المعاد والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد غير التقى والبر والرشــــاد .

وأنشد كذلك هذا القول الذي لو أصبح شعار كل مسلم ومسلمة لشعرنا بطعم الإيمان وبحلاوة الحب ونعيمه، أنشد قائلاً:

---

[1] – الفوائد للإمام ابن القيم ص ١٧٢ .

[2] – تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير المجلد الأول ص ٥٢٤ .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ   يبـــــارك على أوصال شلو ممزع

٣. نعيم الحب للصحابة رضي الله عنهم والتابعين (رضي الله عنهم أجمعين):

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة التوبة آية ١٠٠).

وهكذا يشعر المؤمن بحلاوة الإيمان ولذة المحبة للصحابة رضي الله عنهم الذي أثنى الله عليهم في كتابه ورضي عنهم وأحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بمحبتهم، وكذلك محبة التابعين لهم بإحسان، والصحابة الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيل الله هم القدوة في القول والعمل والخلق والاعتقاد والمحبة.

٤. نعيم الحب للقرآن والذكر والدعاء:

نعم يعيش المسلم الصادق نعيم الحب للقرآن قراءة وحفظاً وتدبراً وخشوعاً وأنساً مع كلام الله تعالى ويتعلق قلبه بحب القرآن والذكر والدعاء. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم) أي القرآن الكريم.

ويقول الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (سورة البقرة آية ١٥٢). الذكر ذو دائرة واسعة، الذكر ليس ساعة مناجاة محدودة في الصباح أو المساء

في المسجد أو في المحراب، لينطلق العبد بعدها في أرجاء الأرض يعبث كما يشاء ويفعل ما يريد. ويقول عطاء مجالس الذكر (الصلاة والصيام والحج، ومجالس الحلال والحرام: البيع والشراء، والنكاح والطلاق) لا يهنأ بالعيش ولا يتذوق السعادة إلا امرؤ أحب الله، وأحب في الله، واطمأن بذكره، وهش لمصالح خلقه وتألم لآلامهم وأعان على تحقيق آمالهم، الذاكرون المخبتون يعيشون لربهم مصلين، حامدين، مجاهدين، عاملين. قطعوا إغراءات العاجلة وجواذب الإخلادِ إلى الأرض، وساروا في الطريق إلى مراضي الله يبتغون وجهه، ويذكرون اسم الله في جميع أحيانهم وشئونهم.[1]

٥. نعيم الحب للعبادات :

يقول الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحيميد: من نتائج العبادة شعور الإنسان بسعادة واطمئنان نفسي ولذة وجدانية عالية، وذلك راجع إلى تلبية الحاجة الموجودة عند الإنسان نحو التعبد، فيحصل له نوع من الرضا والارتياح والاتزان، ويفيض ذلك على نفسه وروحه وقسمات وجهه وجوارحه وأعضائه، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(سورة الأنعام آية ٨٢)، وأداء العبادات من شأنه أيضاً أن يُفرح الإنسان ويطمئنه، وذلك أنه بمجرد أداء ما افترض الله عليه، أو ندب إلى فعله

[1] – توجيهات وذكرى للشيخ صالح بن حميد

تغمره فرحة وانشراح بسبب الإنجاز الذي حققه تأدية التكاليف المفروضة أو المستحبة.[1]

وهذا نموذج لنعيم الحب للعبادة والتضرع لله عند العلماء:

جاء في سيرة الإمام الحافظ عبدالغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ في عبادته وتضرعه: أنه كان لا يضيع شيئاً من وقته، يصلي الفجر ويقرأ القرآن أو الحديث ثم يتوضأ ويصلي الكثير من النفل إلى قبيل الظهر ثم ينام سويعة ثم يصلي الظهر ويقبل على التسميع والتسبيح إلى صلاة العصر فيصليها ويتابع ما كان عليه إلى الغروب فيفطر إن كان صائماً ويصلي المغرب وينتقل إلى العشاء فيصليها وينام إلى نصف الليل ثم يستيقظ فيتوضأ ويصلي إلى قبيل الفجر فينام قليلاً ثم يستيقظ لصلاة الفجر وهكذا دواليك.[2]

٦. نعيم الحب للزوجة الصالحة والذرية الطيبة:

يعيش المسلم نعيم الحب لزوجته الصالحة ولذريته الطيبة ويرجو أن يكونوا كما قال الله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (سورة الفرقان آية ٧٤)، ويتحرك عند هؤلاء الأخيار شعور بالمسؤولية مع داعي الفطرة، وحنان الإبوة والأمومة، ومودة

[1] – العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية للدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحيميد ط١ ١٤٢٤هـ.

[2] – عمدة الأحكام من كلام خير الأنام تأليف الحافظ عبدالغني المقدسي تحقيق وتعليق وتخريج محمود الأرناؤوط مراجعة وتقديم عبدالقادر الأرناؤوط. دار الثقافة العربية ط٣ ١٤١٢هـ.

الزوجية فيتوجهون إلى مولاهم بهذا الدعاء الحاني: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾. إنها المحبة للأهل والذرية والوقاية لهم من سخط الله، والرغبة في زيادة السالكين دروب الخير، إنه شعور تام بالمسئولية، فالأقربون أشد تبعة، وأعظم أمانة.[1]

٧. نعيم الحب في الله:

إن من أبرز صفات المسلم الصادق حُبَّه لإخوانه وأصدقائه حباً سامياً مجرداً عن كل منفعة، بريئاً من أي غرض، نقياً من كل شائبة، إنه الحب الأخوي الصادق الذي استمد صفاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهدي النبوة، فكان نسيج وحدة في العلاقات البشرية وكانت آثاره في سلوك الإنسان المسلم فريدة في تاريخ العلاقات فلا عجب أن تثمر أخوة الإيمان نمطاً من الحب عجيباً في سموه ونقائه وعمقه وديمومته يسميه الإسلام الحب في الله ويجد المسلم الصادق فيه حلاوة الإيمان.[2]

ولقد جاءت الأحاديث الشريفة تترى، ترفع من مقام المتحابين في الله، وتصور منزلتهم العالية التي أعدها الله لهم في جنته، والشرف الرفيع الذي يسبغه الله عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.[3]

---

[1] – توجيهات وذكرى للشيخ الدكتور صالح بن حميد ص ١٣٣ المجموعة الثانية ص ١٨٤ ــ ١٨٥ .

[2] – شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة للدكتور محمد بن علي الهاشمي. دار البشائر الإسلامية ط٩ ١٤٢٢هـ بتصرف.

[3] – المصدر السابق ص ١٣٤ .

٨ـ نعيم الحب للكلمة الطيبة :

يقــول الله تعــالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٥٣).

قال العلامة ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة.[١]

الكلمة الطيبة لها أثرها العظيم في حياة الناس والمجتمعات فهي تزكي النفوس وتحي القلوب وتحفظ الجوارح وتبني الأخلاق وتحفظها وتقوي المجتمعات وتصلحها لذلك حرص الإسلام عليها ، والكلمة الطيبة من ذكر الله تعالى أو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر أو إسداء نصيحة أو دعوة إلى الخير لها الأثر العظيم في إصلاح النفس البشرية وتهذيب أخلاقها وفوق ذلك كله أنها سبب في رضوان الله تعالى وهكذا يتنعم المؤمنون بحب الكلمة الطيبة.

٩ـ نعيم الحب لليل :

إن الليل محبوب ووقته مرغوب يحبونه أهل الإيمان والطاعة يحبونه بشغف وينتظرونه بلهف، يعمرونه بالذكر والخوف ولا يضيعونه كما يضيعه أصحاب المعاصي والشهوات المحرمة والترف ولا ينجرفون

---

١ – تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير مجلد٣ص٤٦ .

ويسيرون خلف من زاغ وانحرف، إنهم يحبونه حباً عظيماً وينتظرون ساعاته فهو أنيسهم وجليسهم تسكن فيه النفوس وتخشع فيه وتطمئن القلوب وتخضع الجوارح لعلام الغيوب، تدمع فيه العيون خشية وإنابة وحباً وذلاً، يوصلهم الليل بأعظم محبوب وهو الله سبحانه وتعالى. الليل محبوب فهو غذاء الروح والقلب والعقل. فيه سكن البدن وراحة للنفس وإعانة على أمور الدنيا والآخرة. وبعد هذه الفضائل كلها. أقول لأخواني المسلمين وأخواتي المسلمات: هل نحن من أحباب الليل؟ هل جاء حب وتعظيم الليل في قلوبنا. وهل عمَّرنا هذا المحبوب بما يرضى الله تعالى وبما يعين على صلاح الأسَر والمجتمعات والبنين والبنات؟

هل أشغلناه بما يصلح قلوبنا وعقولنا، ويغذي أرواحنا أم نحن والعياذ بالله على عكس ذلك وخلافه؟ نرجو أن لا نكون على عكس ذلك.

١٠. نعيم الحب للوالدين:

إن المسلم الذي صاغه الإسلام بحق إنسان بار بوالديه، يحيطهما بأجمل مظاهر الاحترام والتقدير، يغض من صوته أمامهما، ويخفض لهما من جناحه، وينتقي العبارات المهذبة اللطيفة في حديثه معهما ولا يبدو منه في تعامله معهما فعل عار عن أدب التوقير والتكريم والإجلال مهما تكن الظروف والأحوال.[1]

[1] – شخصية المسلم للدكتور محمد علي الهاشمي ص ٦٥ باختصار.

المبحث الخامس

(نموذجان مشرفان لنعيم الحب)

١. نعيم الحب في حياة يوسف (عليه السلام)

لقد عاش يوسف عليه السلام نعيم الإيمان ونعيم الحب لله تعالى ونعيم لذة الطاعة وضرب نموذجاً رائعاً في العفة، فيوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة رائع الفتوة تدعوه إلى نفسه امرأة ذات منصب وجمال والأبواب مغلقة والسبل ميسرة، فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار؟ ألانت قناته فاستسلم وخان عرضاً أؤتمن عليه؟ كلا إنما قال: (معاذ الله) كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية ومغريات الإثم ففشلت المغريات وانتصر الإيمان.[1]

٢. نعيم الحب في حياة الفتى الشاب مصعب بن عمير (رضي الله عنه)

هذا نموذج رائع لشاب عاش نعيم الإيمان ونعيم حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب دين الإسلام أنه الصحابي الجليل مصعب بن عمير.

لقد كان صحابياً شاباً ما زال يحمل في نفسه تطلعات الغد وفي جسده فورة الشباب ومع ذلك بايع الله سبحانه وتعالى بيعة الإيمان والصدق، ولامس الإيمان شغاف قلبه فانسلخ من جاهليته، وبرئ منها براءة تامة، لقد كان قرشي الأصل وكان من أسرة لها مكانتها في

---

[1] - عقبات الزواج لعلوان ص ١٥٦ ـــ ١٥٩ بتصرف.

الجاهلية، نشأ في بيت غني من بيوتات مكة واكتنفته النعمة والترف من كل مكان، إلى جانب شخصيته الجملية في الْخَلق والْخُلق.

كان يُعرف في مكة بأنه أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال والرقيق من الثياب ويأكل الفاخر من الطعام. واشتهر مصعب رضي الله عنه بأنه فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً (شعر الناصية والخصلة من الشعر).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه: (ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم من مصعب بن عمير).

كان رقيق البشرة ليس بالطويل ولا بالقصير، كان قطب الرحى بين شبابها، تحبه النساء وتحيطه نظرات المعجبين.

ولكن انظروا كيف ترك هذا كله لله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته وجناته.

لقد أسلم مصعب ولكنه لم يستطع أن يخفي إسلامه إلا لفترة قصيرة من الزمن لأنه لا يستطيع أن يمنعَ سِماء الإيمان من أن يظهر على وجهه وفي سلوكه وحياته، فها هو ينسحب من حياة العبث والمجون ويختفي من نوادي مكة ومن لياليها ومن بين شبابها.

ويعجب الشباب من مظاهر الجد والوقار الذي بدأ يكسو حياته كلها. لولا عجب فهكذا الإسلام يظهر أثره في سلوك الإنسان وفي أخلاقه وفي أفعاله وجوارحه عندما يصطبغ المسلم وتصطبغ المسلمة به كما قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(سورة البقرة آية ١٣٨).

إنَّه الإسلام الذي ينقل الإنسان وينقل المجتمعات من الظلمات إلى النور ومن عذاب الحب إلى نعيمه ومن الغفلة إلى الذكر ومن حياة العبث والفساد والمجون إلى حياة العفة والمراقبة والخشية والإنابة وتتحول الحياة من ضياع الأوقات والأعمار والطاقات إلى استغلالها في طاعة الله وإلى كل ما ينفع الأمة الإسلامية ويرفع شأنها ويعلي مكانتها!.

لقد كان مصعب رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم.

قال عنه الإمام النووي: أي عن مصعب بن عمير رضي الله عنه : كان قبل إسلامه أنعم فتى بمكة وأجوده حِلة وأكمله شباباً وجمالاً وجوداً، وكان أبواه يحبانه حباً كثيراً وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب بمكة، وكان أعطر أهل مكة ثم انتهى به الحال في الإسلام إلى أنه كان عليه بردة مرقوعة بفروة.

وفي صحيح البخاري عن خباب أن مصعباً لم يترك إلا ثوباً فكانوا إذا غطوا به رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا به رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجعلوا على رجليه شيئاً من الأذخر).

إن مصعب رضي الله عنه يريد أن يعطينا نموذجاً رائعاً، عن تربية الإسلام للمترفين من الشباب، للمنعمين من أبناء الطبقات الغنية المرفهة، لأبناء القصور والمال والجاه للمعجبين بأشخاصهم، المبالغين في تأنقهم، الساعين وراء مظاهر الحياة.

!نعم والله إن في حياة مصعب رضي الله عنه لأكبر شاهد وأكبر قدوة للشباب المسلم والفتيات المسلمات الذين أغرتهم الحياة الدنيا

وشهواتها والذين خدعتهم الأموال والشهوات وأغراهم الشباب والشيطان إنه قدوة للغافلين والغافلات عن ذكر الله تعالى، المضيعين للواجبات المنغمسين في اللذات المحرمة القاتلين لطاقاتهم وأوقاتهم ولزهرة حياتهم وأعمارهم في اللهو والمجون والغفلة عن ذكر الله وعن الصلوات وعن العمل لهذا الدين القويم.

فكأن مصعباً رضي الله عنه يقول لهم ولغيرهم وكأنه يخاطب كل مسلم ومسلمة على وجه الأرض وفي أي زمان ومكان يخاطبهم بعبارة واحدة أنه لا نعيم في هذه الدنيا ولا سعادة ولا فرح ولا أنس إلا بالله وبالقرآن والذكر وشرائع الإسلام وأن من يريد النعيم في غيرها من الشهوات المحرمة فهو يعيش في سراب وينتقل من عذاب إلى عذاب وحياته قلق واضطراب وإن كان ظاهره أنه يعيش حياة سعيدة لأن السعادة فيما يحبه الله ويرضاه].

لقد عاش مصعب رضي الله عنه نماذج من المحن محنة الفقر ومحنة الجاه والمكانة ومحنة الأهل والأقارب والعشيرة ومحنة الجوع والتعذيب ومحنة الغربة والابتعاد عن الوطن وكلها محن عظيمة ولكن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فوق حب الأم والأب والإخوة والأقارب والقوم والوطن.

رحمك الله يا مصعب الخير رحمك الله يا داعية الإسلام ويا حامل اللواء، لقد حملت الراية فكنت أميناً على حملها، صادقاً في الدفاع عنها، مضحياً من أجل الحق بكل ما غلا في الأرض. ها أنت تترك ما حرص عليه الناس من أجل الظفر برضوان الله يوم دخلت دار الأرقم بن أبي الأرقم تاركاً لهو الجاهلية وأنديتها الفاجرة ابتغاء رضوان الله،

وتركت مكة مهاجراً إلى الحبشة من أجل دعوة الله، وحملت راية الدعوة في دروب المدينة ليدخل الناس في دين الله أفواجاً. لقد جاهدت باليقين والصبر والعبادة والثبات.[1]

* * *

[1] -مصعب بن عمير الداعية المجاهد لمحمد حسن بريغش. دار القلم دمشق بيروت ط٢ ١٣٩٥هـ.

المبحث السادس

نعيم الحب للجنة

نعيم الحب للجنة (أنساً بها وشوقاً لها واستعداداً)

وسوف أذكر تحت هذا العنوان صنوفاً لنعيم الجنة ليزداد الإنسان شوقاً إليها ومعرفة بها وعملاً برضى الله تعالى.

والآن تعالوا لنرى ذلك النعيم وكيف يتنعم فيه المحبون؟ اللهم إنّا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار، وسوف أتحدث عن هذا النعيم من خلال النقاط الآتية:

١. الشوق إلى الجنة حق:

يقول العلامة ابن القيم: وأول معانيه عند الهروي (شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف ويفرح والحزين ويظفر الآمل).

أي أن شوق العبد إلى الجنة فيه هذه الحِكَم الثلاث:

أحدها: حصول الأمن الباعث على الأمل، فإن الخوف المجرد عن الأمل من كل وجه، لا ينبعث صاحبه لعمل البتة إن لم يقارنه أمل فإن تجرد عنه قطع وصار قنوطاً.

الثاني: فرح الحزين، فإن الحزن المجرد أيضاً إن لم يقترن به الفرح لتعطلت قوى الحزين، وقعد حزنه به ولكن إذا قعد به الحزن قام به روح الفرح.

الثالث: روح الظفر فإن الآمل إن لم يصحبه روح الظفر مات أمله والله أعلم.

٢. ركضاً إلى الله :

ومنه: الشوق إلى الله عز وجل وتعلق القلب بصفاته المقدسة. وهذا الشوق لا ينافي الشوق إلى الجنة فإن أطيب ما في الجنة قربه تعالى، ورؤيته وسماع كلامه ورضاه.[1]

٣. آيات في نعيم الجنة :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة الحجر الآيات ٤٥ ـ ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الزخرف الآيات ٦٨ ـ ٧٣).

---

[1] ـ تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة المطففين الآيات ٢٢ ـ ٢٨).

٤ـ أحاديث في وصف الجنة ونعيمها:

أـ أعددت لعبادي الصالحين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (سورة السجدة الآية ١٧). متفق عليه.[١]

ب ـ أول زمرة يدخلون الجنة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّيٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفُلُون ولا يمتخِطُون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألُوَّة ـ عُودُ الطيب ـ أزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رَجُلٍ[٢] واحد، على

[١] ـ رياض الصالحين للإمام النووي ص ٦٤١ ـ ٦٤٢ بتحقيق جماعة من العلماء تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش.

[٢] ـ قوله (على خَلْقِ رجل) رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمها وكلاهما صحيح.

صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء) متفق عليه، وفي رواية للبخاري ومسلم.[1]

آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهما زوجتانَ يُرى مُخُّ ساقهما من وراء اللحم من الْحُسْن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً.

ج. أدنى أهل الجنة منزلاً:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فُيقال له: أدخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مِثلُ مُلكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربِّ. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر) (رواه مسلم).

د. خيمة الجنة:

عن أبي موسى رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً) متفق عليه. (الميل) ستة آلاف ذراع.

---

[1] - يقول المحقق الرواية الأخري فرواها مسلم فقط.

هـ. شجرة الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكبُ الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها) متفق عليه. (الجواد) الفرس.

ورويناه في الصحيحين أيضاً من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطعها).

و. قاب القوس في الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب) متفق عليه.

ومعنى (لقاب قوس): قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

ز. سوق الجنة وريح الشمال:

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فتَهُبُّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً) رواه مسلم.

سوقاً: أي مجتمعاً يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في أسواقها.

يأتونها كل جمعة أي في مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وريح الشمال هي التي من دبر القبلة وبها يأتي المطر وكانوا يرجون السحابة الشامية. قاله: محقق الكتاب.

ح. غرف الجنة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون الغُرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء) متفق عليه.

ط. إذا دخل أهل الجنة الجنة:

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناداً أنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإنّ لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً) رواه مسلم.

ي. أحل عليكم رضواني:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عزَ وجلَ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرض يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) متفق عليه.

ومعنى أحل (أنزل).

ك. رؤية أهل الجنة لله تعالى:

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تُبيضْ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فَيَكْشِفُ الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم) رواه مسلم.

ومعنى فيكشف الحجاب (أي يكشف الله تبارك وتعالى الحجاب وهو حجاب منه للعباد، أن يروه فيرفعه عنهم فيروه جل جلاله. نسأله تعالى أن يتفضل علينا بالنظر إلى وجهه الكريم.[1]

[اللهم إنّا نسألك رضاك والجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من سخطك والنار وما قرّب إليها من قول وعمل. اللهم إنّا نسألك النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة أو فتنة مضلة].

***

[1] - رياض الصالحين للإمام النووي تحقيق جماعة من العلماء تخريج محمد ناصر الدين الألباني إشراف زهير الشاويش ص ٦٤٢ ـــ ٦٤٦ المكتب الإسلامي ط١ ١٤١٢هـــ.

المبحث السابع

١) الأسباب العامة لعذاب المحبين

إن حُبَّ المال والتعلق به من أسباب عذاب القلب وحب الرياسة وحب الشهوات المحرمة من أسباب عذاب القلب وحب أهل الكفر والفسوق والعصيان من أسباب عذاب القلب.

فرعون عذبه الكفر وحُبُّ الملك وهامان عذبه حب الرياسة وقارون عذبه حب المال حتى خسف الله بهامان وقارون وأغرق فرعون.

ومما يسبب عذاب المحبين حب الأغاني والاستماع إليها فالأغاني بريد الزنا وهي مزامير الشيطان.

ومشاهدة الأفلام وصور النساء من أسباب عذاب الحب والتعلق بالمال والأولاد والأهلون من الحب الذي يُعذب الإنسان إذا تساوى مع حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن صور المعذبين بالحب الحب المحرم بين الرجال والنساء والشباب والفتيات، [1] وقراءة أشعار الحب والغرام وآهات العشاق وأنينهم فيزداد القلب مرضاً على مرض.

ومما يجعل الخب عذاباً أن يطلق الإنسان جوارحه إلى ما حرم الله فيتعلق قلبه بمن نظر إليه فيقسو قلبه وتفسد نفسه ويُشغل فكره ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار وبين أن عدم النظر من أسباب زكاة النفس وتطهيرها وسبب كبير في التربية الإيمانية والأخلاقية للأفراد والمجتمعات.

---

[1] – وقد ألفتُ كتاباً بعنوان عذاب المحبين للمعاكسات تكلمت فيه بتوسع عن هذا الموضوع وسبل العلاج منه.

ومن أسباب عذاب المحبين كلام المرأة مع الرجل الأجنبي بخضوع وتكسر ومحادثة الرجل للمرأة الأجنبية كما في الأسواق أو في الأماكن المختلطة أو عبر وسائل الاتصال كالهاتف وشبكة الإنترنت وغيرها.

أيها الأخوة في الله! كم تعذب أناس بسبب امرأة أو نظرة محرمة أو استماع لكلام محرم إما عن طريق المعاكسات أو غيرها. وكم تعذبت قلوب أناس بسبب تبرج النساء واختلاطهن بالرجال وتركِهنّ للحياء الذي هو شعار عفتها وكرامتها.

وسوف أذكر بالتفصيل هذه الأسباب وغيرها في العناصر الآتية إن شاء الله تعالى.

٢) نماذج لعذاب المحبين

١. عذاب المحبين للمعاصي والشهوات المحرمة :

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها وإما أن تضيع وقتاً أضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثِلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تُذهِبَ مالاً بقائه خير من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تُطرِّقَ لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تُنسى علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة وإما أن

تشمت عدواً وتحزن ولياً وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تُحدث عيباً يبقى صفة لا تزول فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق.[1]

٢.من أعرض عن محبة الله ابتلى بمحبة غير الله:

يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه الله بمحبة غيره، فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، فإمَّا أن يعذبه بمحبة الأوثان أو بمحبة الصُّلبان أو المُرْدان، أو محبة النيران أو محبة النسوان، أو محبة الأوثان أو محبة العشراء، أو محبة الخِلان، أو محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائناً من كان كما قيل: أنت القتيل بكل من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي، فمن لم يكن إلهه مالكه ومولاه كان إلهه هواه،[2] ويقول العلامة عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: ولما كان من الفوائد القدسية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع ابتلي بالاشتغال بما يضره فمن ترك عبادة الرحمن ابتلى بعبادة الأوثان ومن ترك محبة الله وخوفه ورجائه، ابتلى بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.[3]

٣.عذاب العشاق:

ذكر العلامة ابن القيم مرض العشق في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد لأنه مرض من الأمراض المعنوية، ثم ذكر علاجه صلى الله

---

[1] - الفوائد لابن القيم ص ٢٠٤ .

[2] - الداء والدواء لابن القيم ص ٢٨١ .

[3] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي م/١ ص٨١،د دار المدني.

عليه وسلم لهذا المرض وهذا دليل واضح وبرهان جلي أن دين الله تعالى وهو الإسلام يعالج جميع الأمراض المادية، والمعنوية وأنه يطهر المجتمعات والأفراد والأسر من الأمراض وقد قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٨٢). فلا علاج ولا دواء للبشرية ولا شفاء لأسقامها وأمراضها إلا بهدي الكتاب والسنة وبما دل عليها من طلب الدواء.

وسوف أتحدث عن هذا المرض من خلال النقاط الآتية:

أ. تعريف مرض العشق:

يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا مرض من أمراض القلب مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه وإنما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس: من النساء وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن امرأة العزيز في شأن يوسف وحكاه عن قوم لوط.[1]

ب. سبب الابتلاء بعشق الصور:

هو فراغ القلب من محبة الله تعالى، يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه، المتعوِّضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى في حق يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ

فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه ولهذا قال بعض السلف: العشق حركة قلب فارغ.

[رحمك الله يا ابن القيم ورحم علماء المسلمين الذين يبينون للناس طريق السلامة وطريق الهداية فقد ذكرت الداء وبينت الدواء].

ج ـ آفات عشق الصور:

الأولى: الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تبارك وتعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

[وتكفي هذه الآفة للبعد عن هذا المرض والتخلص منه].

الثانية: عذاب قلبه بمعشوقه، فإنَّ من أحب شيئاً غير الله عُذِب به ولابد.

[**وهذا يلاحظه من ابتلو بهذا المرض**] وكما قيل:

فما في الأرض أشقى من محب	وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً في كل حينٍ	مخافة فرقة أو الاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم	ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق	وتسخن عينه عن التلاق].

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالثة: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكنه لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبه كالعصفور في كف

الطفل يورده حياض الردى، والطفل يلهو ويلعب، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثق ويعيش الخلي عيش المسيب المطلب والعاشق كما قيل:

طليــق برأي العين وهــو أسيــر   عليل على قطب الهلاك يدور

وميت يُرى في صورة الحي غادياً   وليس له حتى النشـور نشور

أخــو غمـــرات ضاع فيهن قلبه   فليس له حتى الممات حضور

الرابعة: أنه يشتغل عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشاق الصور أما مصالح الدين فإنها منوطة بلَمِّ شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيباً وتشتيتاً له، وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامسة: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بُعد عن الله، وإذا بُعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية فإن الشيطان يتولاه، ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يأله وبالاً، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه؟؟

السادسة: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهن وحدث الوساوس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها يُشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا أُعدم عقله التحق بالهائم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من

حاله، وهل أذْهبَ عقلَ مجنون ليلى وأضرَّ به إلا العشق؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جُننتَ بمن تهوى فقلتُ لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون بالحين

السابعة: أنه ربما أفسد الحواس أو أنقصها، إما فساداً معنوياً أو صورياً، أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسناً منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعاً: (حَبُّكَ الشيء يعم ويصم).

فهو يَعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه به فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه.

وأمَّا فساده للحواس ظاهراً فإنه يُمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتله العشق.

وقد رُفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد نُحل حتى عاد جلداً على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا به العشق، فجعل ابن عباس يتعوذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامنة: أن العشق هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي على القلب من العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والتفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل تلك القوى، وكما يقول مؤلف كتاب: ففروا إلى الله: والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب، وآخره عطب وقتل إن لم تتداركه عناية من الله.[1]

[1] - ففروا إلى الله لأبي ذر القلموني، عبدالمنعم بن حسين بن حنفي ص ١٤٣ ـــ ١٤٦ .

د. حديث مكذوب في العشق:

يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ولا يُغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه سويد ابن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه عن أبي مسهر أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه الزبير بن بكار، عن عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون، عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من عَشِقَ فعفَّ فمات فهو شهيد)، وفي رواية: (من عَشِقَ وكتم وعف وصبر، غفر الله له وأدخله الجنة)، فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن يكون من كلامه، فإن الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصِّدِّيقية ولهما أعمال وأحوال هي شرط حصولها وهي نوعان: عامة وخاصة، فالخاصة: الشهادة في سبيل الله، والعامة خمس مذكورة في الصحيح ليس العاشق واحداً منها.

قال محققا الزاد: الشيخان شعيب الأرنؤوط والشيخ عبدالقادر الأرنؤوط تعليقاً على الحديث السابق: أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر وغيرهما من طرق عن سويد بن سعيد الحدثاني، ثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، وسنده ضعيف لضعف سويد وأبي يحيى القتات واتفق الأئمة المتقدمون من أهل الحديث على تضعيف هذا الحديث وأعلُّوه بسويد، وله طريق آخر عند الخرائطي في اعتلال القلوب قال المؤلف في (**روضة المحبين**) ص ١٨٢

وهي من رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة، فقد ضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب.[1]

هـ. علاج مرض العشق:

ودواء هذا الداء أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه من سننه وآياته أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة، بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة يوسف الآية ٢٤). فأخبر سبحانه أنه صرف عن يوسف السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور، فإنه يتمكن من القلب الفارغ كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا[2]

وفي علاج هذا الداء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: والمقصود أن العشق لما كان مرضاً من الأمراض كان قابلاً للعلاج وله أنواع من العلاج، فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وَصْلِ محبوبه شرعاً وقدراً فهو علاجه كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من

[1] - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٤ ص٢٧٥ .

[2] - ففروا إلى الله لعبدالمنعم بن حسين ص ١٤٣ .

استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء).

فدل المحب على علاجين: أصلي وبدلي وأمره بالأصلي وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً، وروى ابن ماجه في سننه، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لم نَرَ للمتحابين مِثْلَ النكاح) (حديث صحيح).

وإن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدراً أو شرعاً أو هو ممتنع عليه من الجهتين فمن علاجه:

إشعار نفسه باليأس منه، فإنَّ النفس متى يئست من الشيء استراحت منه، ولم تلتفت إليه، فإن لم يَزُل مرض العشق مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافاً شديداً فينتقل إلى علاج آخر وهو: علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون، وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس، وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها في فلكها وهذا معدود عند جميع العقلاء في زمرة المجانين.

ثم يقول - رحمه الله تعالى - : وإن كان الوصال متعذراً شرعاً لا قدراً، إذ ما لم يأذن فيه الله، فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه، فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه وأنه بمنزلة سائر المُحالات.

[وهذا والله هو عين الحق وهو ما يُطمئن النفس ويسعد القلب ويشرحه ويريح العقل والفكر].

ثم يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: فإن لم تجبه النفس الأمارة فليتركه لأحد أمرين إما خشية، وإما فوات محبوب هو أحب

إليه، وأنفع له، وخير له منه، وأدوم لذة وسرور، فإن العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه وأدوم وأنفع وألذ أو بالعكس ظهر له التفاوت.

الثاني: حصول مكروه اشق عليه من فوات هذا المحبوب بل يجتمع له الأمران، أعني: فوات ما هو أحب إليه من هذا المحبوب وحصول ما هو أكره إليه من فوات هذا المحبوب، فإذا تيقن أن في عطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الأمرين، هان عليه تركه، ورأى أن صبره على فواته أسهل من صبره عليها بكثير.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، ولم تطاوعه بهذه المعالجة فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلة وما تمنعه من مصالحها، فإنها أجلب شيء لمفاسد الدنيا، وأعظم شيء تعطيلاً لمصالحها، فإنها تَحُوْلُ بين العبد وبين رشده الذي هو ملاك أمرِه، وقوام مصالحه.

[وهذا الكلام نفيس من ابن القيم يبين فيه أن التعلق بالمعشوق يشغل عقل الإنسان وتفكيره ويعطله عن مصالحه ويفسد عليه دينه ودنياه عياذاً بالله، فلينتبه العاقل اللبيب لذلك].

ثم يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعو إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها وجدها أضعاف محاسنه التي تدعو إلى حبه، فإن المحاسن كما هي داعية الحب والإرادة، فالمساوئ داعية البغض والنفرة، فليوازن بين الداعِيَيْنِ وليجب أسبقها وأقربهما منه باباً، ولا يكن ممن غرَّه لون جمال على جسم أبرص مجذوم وليجاوز بصره حسن الصورة إلى قبح الفعل، ولْيَعْبُرْ من حسن المنظر والجسم إلى قبح المخبر والقلب.

ثم يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن عجزتَ عن هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثاً به، متضرعاً، متذللاً، مستكيناً، فمن وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق، فليعِفَّ وليكتُم، ولا يُشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس، ويُعرِّضه للأذى فإنه يكون ظالماً معتدياً.[1]

٤ـ عذاب المحبين لصور النساء والمردان

أ. خطر التهاون بالنظر إلى الحرام:

يتهاون بعض الناس بالنظر إلى النساء إما في الأسواق أو الأماكن العامة أو في الشارع أو أي مكان آخر أو النظر إلى الصور في المجلات، أو في التلفاز أو عن طريق القنوات الفضائية أو الإنترنت وغيرها. ويتهاونون كذلك بالنظر إلى المردان من الصبيان وغيرهم.

وكذلك تتهاون بعض النساء وخاصة الفتيات بالنظر المحرم إلى الرجال كما سبق بيانه، وهذا فيه خطر عظيم على الرجل والمرأة وفيه فساد للقلب والجوارح قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة النور الآية ٣٠).

[1] ـ زاد المعاد لابن القيم رحمه الله.

فجعل الزكاة: بعد غض النظر وحفظ الفرج.[1] وكذلك فقد نهى الله تعالى المؤمنات عن النظر إلى الحرام فقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(سورة النور الآية ٣١).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٣).

فدلت الآية الكريمة أن غض البصر من الرجل والمرأة فيه طهارة للقلوب، وإذا طهرت القلوب زكتْ الجوارح، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة النور الآية ٣٠). لكي يتذكر العبد عندما ينظر إلى الحرام أن الله عليم بما يصنعه العبد فيخاف من الله تعالى، ولذلك سئل بعض الصالحين كيف استعنت على غض البصر قال بعلمي أن نظر الله إليَّ أسبق من نظري إلى المخلوق.

ب. بين القلب والعين منفذ وطريق:

بين القلب والعين منفذ وطريق يوجب انتقال أحدهما إلى الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب.[2]

---

[1] – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ج١ ص٤٧ .

[2] – العبث المدمر لعبد الله السالم ص ٦٧ ـــ ٦٨ .

ج. من الذي يُبتلى بالنظر إلى الحرام:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا إنما تبتلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له.

د. كيفية عذاب الناظرين والناظرات إلى الحرام:

١. مَن أطلق لحظاته دامت حسراته:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: العين رائد القلب فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور وجماله تحرك اشتياقاً إليه وكثيراً ما يتعب رسوله ورائده كما قيل:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً   لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر   عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، إلى أن قال: فيصير القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون هو عبداً وهذا كله جناية النظر.

٢. النظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٦).

فالتركيز على البصر والسمع لأنهما البوابتان لكل ما يدخل على الإنسان.

فالنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان:

والمرء ما دام ذا عين يقلبها   في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسرُّ مقلته ما ضر مهجته   لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

لأن الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.[1]

٣. إطلاق البصر جراح تلو جراح:

والنظرة سهم مسموم لا يصل إلى المنظور إليه حتى يتبوأ مكاناً من قلب الناظر ولذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً   أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له   احبسْ رسولك لا يأتيك بالعطب[2]

وإذا أطلق العبد بصره أتته الجراح تلو الجراح وقد ظن أن في النظرة يكون الدواء، ولذا يقول ابن القيم أيضاً: [مازلت تتبع نظرة] في إثر كل مليحة ومليح].

[وتظن ذاك دواء جرحك وهو في الـ] [تحقيق تجريح على تجريح][3]

ويقول الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر   ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها   فتك السهام بلا قوس ولا وتر

(فهل عرف الناظرون والناظرات إلى الحرام خطر هذا الفعل وأنه عذاب وسبب للشقاء والبلاء، وسبب لخبث النفس وسيطرة الشيطان على العبد والوقوع في الفاحشة والعياذ بالله).

هـ. ليس في عشق الصور مصلحة:

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في فصل بعنوان (المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب الأعلى) قال: والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته... إلى أن قال: فمحبة

---

[1] - إغاثة اللهفان لابن القيم ج١ ص٤٧ .

[2] - العبث المدمر لعبد الله السالم ص ٦٥ — ٦٦ .

[3] - العبث المدمر لعبد الله السالم ص ٦٥ — ٦٦ .

الصور تُفوِّت محبة ما هو أنفع للعبد منها ، بل تفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلا بمحبته وحده، فليختر العبد إحدى المحبتين فإنهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه، بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه الله بمحبة غيره، فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصُّلبان، أو الْمُردان، أو محبة النيران، أو محبة النسوان، أو محبة الأثمان، أو محبة العشراء، أو محبة الخِلان، أو محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائناً من كان، كما قيل:

أنت القَتيل بكل من أحببته   فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فمن لم يكن إلهه مالكه ومولاه كان إلهه هواه قال تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الجاثية الآية ٢٣).[1]

[رحمك الله يا ابن القيم على هذا البيان الشافي الكافي الوافي].

ز. الفوائد العظيمة لغض البصر عن الحرام:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: غض البصر عن المحارم، يوجب ثلاث فوائد عظيمة الْخَطْر، جليلة القَدْر:

[1] – الداء والدواء لابن القيم ص ٢٨١ .

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى، فإنَّ من ترك شيئاً لله عوضه الله عز وجل خيراً منه.

الفائدة الثانية في غض البصر:

نورُ القلب وصحة الفراسة، قال أبو شجاع الكرماني:

من عمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة.

وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه.

الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين ويهرب الشيطان منه.[1]

ولغض البصر منافع عديدة:

منها: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد، وهو أيضاً يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي قد يكون هلاكه بسببه إلى قلبه، وغض البصر يورث أنساً بالله، ويقوي القلب، ويفرحه ويكسبه نوراً، لأن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور

[1] - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ج١ لابن القيم ص ٤٧ ـــ ٤٨ .

عقيب الأمر بغض البصر فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ (سورة النور الآية ٣٠).

ثم قال إثْرَ ذلك: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة النور الآية ٣٥).

وغض البصر يورث العبد فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل.[1]

٥. عذاب المحبين للتبرج والاختلاط والخلوة المحرمة

١. الاختلاط والتبرج وأثرهما السيئ على المرأة والمجتمعات:

كم تعذبت قلوب أناس بسبب تبرج النساء، بل كم وقع من البلايا والمصائب عندما تبرج النساء واختلطن بالرجال وتركن الحياء الذي هو شعار عفتهن وكرامتهن.

لقد ذاقت المرأة في المجتمعات الكافرة صنوفاً من عذاب الحب عندما خدعها أهل النفاق وأهل الشر وأهل العلمنة عندما خدعوها بقولهم حسناء، كما قال الشاعر:

خدعوها بقولهم حسناء   والصبايا يغرهن الثناء

[1] – العبث المدمر لعبد الله السالم ص ٦٦ ــ ٦٧ .

خرجت متبرجة متزينة متعطرة تتكلم مع من تشاء وتخرج متى شاءت وترجع متى شاءت وتختلط بمن شاءت ظناً منها أنها الحرية، إنه التطور والتقدم، إنه المساواة للرجل وإعطاء لحقوقها، فهل وجدتْ النعيم؟ وهل وصلت إلى ما تصبو إليه؟ لا والله، بل لقد انتهك عرضها ودُنس شرفها وديست كرامتها.

وأعداء الإسلام الذين يعيشون عذاب القلب ويعيشون القلق والتعاسة والشقاء يريدون للمرأة المسلمة خاصة وللمجتمع المسلم عامة أن يكون مجتمعاً منحرفاً يتفشى فيه الزنا والفواحش كما قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة النساء الآية ٢٧).

٢. الحجاب سبب للحياة الكريمة:

قالوا عن الحجاب: الحجاب شعار تحرر يوفر لي مزيد من الحماية (بريطانية مسلمة).

[وصدق الله القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾(سورة الأحزاب الآية ٥٩).

فالمرأة عندما لا تتحجب كما أمرها الله وتظهر مفاتنها للرجال تتعرض للفتنة والأذى من الرجال فتفتن نفسها وتفتن غيرها].

وقالت بريطانية مسلمة: الحجاب إعلان عام بالالتزام.

وقالت: (مارغريت موركينال) عضوة الأكاديمية الفرنسية ومن المناديات بحقوق المرأة: الحجاب يضفي على المرأة الوقار المطلوب.

وقالت الممثلة المعتزلة (شهيرة): اعتزلت لمجرد أن تمثيلي كان يتعارض مع التزامي بفرض من فروض الإسلام التي لا مجال فيها للمناقشة وهو الحجاب.

وقالت الممثلة المعتزلة (سهير رمزي): لأول مرة أذوق طعم النوم قريرة العين، مطمئنة البال، مرتاحة الضمير بعد أن ارتديت الحجاب ودخلت في طاعة الله.

وتقول الألمانية مريم: الحجاب جزء من كياني فقد ارتديت الحجاب قبل أن أسلم لإحساسي أنني احترم نفسي وأنا أرتديه فلا أعرض جسداً ولا مفاتن، بل أبحث عن حياة كريمة.[1]

٣.اعترافات المنصفين الغربيين بالآثار السيئة للسفور والاختلاط:

أـ **كاتبة إنجليزية تقول:** (يا ليت بلادنا كبلاد المسلمين): تقول الكاتبة الإنجليزية: أنا رورد إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم فهو خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، يا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهر، حيث المرأة تنعش بأرغد عيش وبصيانة العرض والشرف.

[فهل عقلنا نحن المسلمين هذا الكلام البين الواضح؟ أرجو ذلك].

ب.باحثة بريطانية ترفض الاختلاط:

جاء في مجلة المجتمع: اعتماد الاختلاط بين الجنسين في المدارس ما هو إلا مؤامرة معادية للإناث، هكذا أكدت الباحثة البريطانية

[1] - مجالس النساء ج٢ ص ١٦٩ لعبد الرحمن الحمدي.

(جانيت ديلي) في صحيفة (التايم) فشل المدارس المختلطة في دراستها وأشارت إلى التالي:

١. يُلاحظ أن العائلات الآسيوية في بريطانيا تصر على أن تدرس بناتها في مدارس غير مختلطة استناداً على خلفيات دينية ـ حسب تعبيرها ـ لذا فإنه ليس من المصادفة أن تكون الفتيات الآسيويات أفضل البنات درجات وخيرهن نتائج آخر العام الدراسي.

٢. أكدت الدراسة حقيقة ناصعة تقول: إنه من السهل إضعاف تركيز الطلاب المراهقين عند وجود الجنس الآخر في الفصل الدراسي وهذا بدوره يسهم في إضعاف تلقي العلم لدى الطلبة من الجنسين.

٣. كانت تجربة مُشَرِّفة تلك المدرسة التي لا يختلط فيها الطلبة من الجنسين في الفصول إنها مدرسة (شيفليد) في مقاطعة (إيكس) ومع نجاحها فقد هاجمها (الاتحاد الوطني للمعلمين) الذي قال: إن المدرسة تسهم في إيجاد مصطنع لا يتواءم وطبيعة المجتمع البريطاني.

وهكذا تؤكد جانيت ديلي: إدانتها للمدارس المختلطة وتقول: إن المدارس غير المختلطة أقدر على استخراج الذكاء والفطنة من البنات والبنين وتريحهم من التكلف التافه في الاختلاط. انتهى.

هذه دراسة واحدة فقط من الدراسات الغربية عن مساوئ الاختلاط، فهل لنا بعد ذلك أن نسأل دعاة الاختلاط من بني جلدتنا: إلى متى هذا التعامي عن الحقيقة؟ ليتنا نرجع إلى رشدنا ونقول: لا للاختلاط.[1]

[1] – مجلة المجتمع العدد ٩١١٤٩ ذو الحجة ١٤١٥هـ ٩ / ٥ / ١٩٩٥م بقلم محمد البناني.

ج ـ صحفية أمريكية زارت بلاد العالم تقول: امنعوا الاختلاط وارجعوا إلى عصر الحجاب:

تقول صحفية أمريكية زارت بلاد العالم: امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحة ومجون أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية.[1]

[فهل بعد هذه التصريحات والتحذيرات مجادلة أو مناقشة في خطورة الاختلاط والتبرج على المجتمعات وطهارتها وقوتها؟!].

٤. الآثار السيئة للتبرج والاختلاط:

أ. هدم لأخلاق أمتنا:

يتهاون بعض الناس بخلوة المرأة بالرجل الأجنبي، والاختلاط بين الرجال والنساء، ويتهاون بعض النساء هداهن الله - بالتبرج والسفور وإظهار الزينة أمام الرجال وبالتالي يَكُنَّ للأسف قد عرَّضْن شرفهن وعرضهن للزنا والفاحشة التي حرمها الله تعالى.

إن الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء حرام في دين الله تعالى وهما من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا الاجتماعية والأسرية، ومدعاة غضب الله وعذابه.

فلنتق الله في بناتنا ونسائنا ولتعلم أننا مسؤولون عنهن بين يدي الله الذي ائتمننا عليهم قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

[1] - من كتاب من رحى الواقع للشيخ محمد ناصر العريبي ص ٤٤ تقديم الشيخ عبدالله الجلالي.

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة التحريم الآية ٦).

ب. التبرج والاختلاط سبب في انهيار الحضارات:

قال الشيخ الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ: فمن المعلوم تاريخياً أن أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين فقد كانت المرأة في أول حضارتها مصونة محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح، ويوطدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارات حضارتهم انهياراً مريعاً. ثم نقلَ عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها: كانت النساء عند الرومانيين محبات للعمل، مثل محبة الرجل له، وكن يشتغلن في بيوتهن، أما الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب، وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغَزْل وشغل الصوف. ثم دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدروهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن، وتدنيس طهارتهن، وهتك حيائهن، حتى صرن يحضرن المراقص، ويغنين في المنتديات، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري.

ثم قالت دائرة المعارف: إنا لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيئ الذي يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا، فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الخطير، فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقوض مدينتنا الحالية ويهددنا بسقوط سريع جداً وإن شئت فقل بانحطاط لا دواء له.[1]

ومن الملاحظ أن عقلاء الأوروبيين بدؤوا يحذرون قومهم من المصير الذي انتهى إليه الرومان نتيجة الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها.

ج. سبب في المآسي والكوارث:

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: إن الدعوة لخروج المرأة من البيت لتخالط الرجال جر المآسي والكوارث وقد بدأ براقاً جذاباً لتكون المرأة زهرة المجتمع، وواسطة العقد المكرمة، ولكن انتهى بها الأمر إلى المهانة لتكون كانسة للطرقات، وخادماً في الخمارات، وربما تعرضت في خروجها هذا إلى ما يهدد عفتها.

ثم يقول الدكتور الصباغ: وهناك نوعان من الاختلاط يتهاون فيها كثير، ولابد أن نشير هاهنا إلى معولين يهدمان في كيان مجتمعنا الإسلامي:

أما أولهما: فهو الاختلاط في التعليم: إنه إفساد للخلق وهبوط للتعليم، وصرف للطاقات في غير مجال الدرس والتعليم.

وأما ثانيهما: فهو الاختلاط في العمل.

[1] - تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية للدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

د. الاختلاط بين الرجال والنساء بضاعة أجنبية:

يقول أحد المفكرين: الاختلاط لا يضعف قوة الميل بين الجنسين بل يزيده، وقديماً قيل: إن الطعام يقوي شهوة النهم، والاختلاط يجعل المرأة تتفنن في الزينة لتثير الإعجاب وهذا أثر اقتصادي من أسوأ الآثار.

ويقول أيضاً: هذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة كل هذا بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار.[1]

[وفيما قاله هذا المفكر رَدٌّ على دعاة الاختلاط وعلى شبههم الباطلة والمنحرفة].

هـ. ضياع الأسرة وخراب الأوطان وتشريد الأطفال:

لما زار إمبراطور ألمانيا تركيا: أحبَّ أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أن يظهروا له تمدنهم، فأخرجوا بعض بنات المدارس لاستقباله وهن متبرجات، وقدَّمْنَ له باقات الأزهار، فاستغرب الإمبراطور لِمَا رآه من لباس بنات المسلمين وقال للمسئولين، إني كنت آمل أن أشاهد في تركيا الحشمة والحجاب بحكم دينكم الإسلامي، وإذا بي أشاهد التبرج الذي نشكو منه في أوروبا، ويقودنا إلى ضياع الأسرة وخراب الأوطان وتشريد الأطفال.[2]

و. الاختلاط يألفه الرجال:

قالت الكاتبة الإنجليزية (اللادي كوك) في جريدة (الإيكو): إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى

---

[1] – مجلة المجتمع العدد ١١٦ ص ٦٠ ــ ٦١ .

[2] – مجالس النساء ج٢ لعبدالرحمن المحمدي ص ٧٢ .

قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وها هنا البلاء العظيم على المرأة.

[نعم إنه العار والفضيحة للنساء الآتي رضين بالتبرج والسفور والاختلاط والخلوة فهن الضحايا لهذا كله].

ثم قالت تلك الكاتبة الإنجليزية: أمَا آن لنا أن نبحث عما يخفف إن لم نقل يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرق المرأة المجبولة على رقة القلب. ثم تنادي الوالدان محذرة ومنبهة لهما بقولها: يا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكبسهما بناتكما باشتغالهن في المعامَل ونحوها ، ومصيرهن إلى ما ذكرنا ، علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد.

لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم، حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء ، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت؟ وكثير من النساء المعرضات للأخطار. ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن. لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان وهذا غاية الهبوط بالمدنية.[1]

[إن الكلام الذي ذكرته الكاتبة واضح وصريح في بيان خطورة الاختلاط ومصير الأمم المختلطة ونتيجة التبرج والسفور ، إن ما دعت إليه الكاتبة هو ما دعا إليه الإسلام من تحريم جميع الوسائل التي توقع

[1] - تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية للدكتور الصباغ ص ٢٠ ــ ٢١ بتصرف يسير.

النساء والرجال في الزنا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (سورة الإسراء آية ٣٢). فسبحان الله تعالى العالم بما يُصلح به خلقه، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (سورة الملك الآية ١٤).

٥ـ شروط خروج المرأة للعمل:

يقول الدكتور الصباغ: إن للمرأة الحق في أن تعمل كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ (سورة النساء الآية ٣٢).

ولكن عملها هذا مشروط بأن يكون ضمن حدود الشريعة وذلك بأن لا يكون فيه اختلاط مستهتر، ولا خلوة محرمة، وألا يعرضها هذا العمل إلى الفتنة، وألا تكون طبيعة عملها مخالطة الرجال، وإلانة القول لهم حتى تتألفهم لصالح العمل الذي تقوم به، وأن تكون هي ملتزمة بالحجاب والحشمة.

ثم قال الدكتور الصباغ: نشرت جريدة الأخبار ما يأتي: المرأة التي كانت تصرخ بأعلى صوتها للمطالبة بمساواتها بالرجل أصبحت الآن تصرخ لحمايتها من مضايقة الرجل في العمل. إن المرأة عندما دخلت مجال العمل وجدت نفسها وسط غابة من الرجال.

وكما تقول (جلوريا تيانم مديرة تحرير مجلة أم إس): إن المرأة وجدت نفسها في هذا المجال معرضة للخطر، وتذكر (جلوريا): أن هناك

مئات الحالات التي ظهرت في أوروبا وأمريكا لنمو ظاهرة الخوف والتوتر لدى المرأة العاملة، لدرجة أن هذه الظاهرة أصبحت عامة بشكل مثير، وقد نشرت عشرات القصص التي تروي ببساطة مدى التهديد الذي تقع فيه المرأة في غابة الرجال.

وتستطرد جلوريا قائلة: إن هذه الظاهرة قد نوقشت في مؤتمر عُقد في نيويورك، حيث روت عشرات النساء كيف تحطمن في عملهن لأنهن رفضن تحقيق رغبات الرجال الذين كن يعملن معهم.[1]

٦.قصص ونهايات لمحبي الاختلاط والتبرج:

[انقل إليك أخي القارئ الكريم وأختي القارئة الكريمة هذه النهايات الثلاث والتي كانت نتيجة الاختلاط بين الرجل والمرأة ونتيجة التبرج والسفور].

يقول الدكتور الصباغ: نقلاً عن صحيفة الأخبار، اتهم طالب في حقوق جامعة الزقازيق بمصر بمحاولة قتله زميلته لرفضها الاستجابة لحبه والابتعاد عنه، طعنها عدة طعنات بسكين حاد في داخل الكلية فأصابها إصابات خطيرة ونقلت إلى المستشفى وتم إلقاء القبض على الطالب.

وفي قصة أخرى:

فتاة عمرها ١٨ عاماً تموت نتيجة الإجهاض بعد أن حملت وهي بكر وذلك عندما كانت تعمل سوتش بعيادة أحد الأطباء المشهورين ووطد علاقته معها منذ ٦ شهور وحملت برغم أنها بكر.

---

[1] - تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية للدكتور الصباغ ص ٩ ــ ١٠، وص٢٣ ــ٢٧ .

وأما عن حياة الغرب: فطالب يقتل أستاذه:

يقول الدكتور الصباغ: وإليك مثالاً واحداً، وما أكثر الأمثلة على أن حياة الغرب تَرَدَّتْ إلى الحضيض فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط أنَّ الطالب الأمريكي (جوفونس) والبالغ من العمر ١٩ عاماً قد أطلق النار على أستاذه (جيمس بونجي) في داخل إحدى قاعات الدروس في مدرسة (سانتامونيكا) في كاليفورنيا، فأراده قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق، أن خلافاً قديماً كان قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس على حب إحدى الطالبات.[١]

٧. مهلاً يا دعاة الاختلاط:

وبعد هذا كله نقول لكل من يدعو إلى الاختلاط بين الرجال والنساء في أي مجال وفي أي مكان وفي أي زمان تعالوا وانظروا وتأملوا:

تعالوا وانظروا إلى حال المجتمعات المختلطة التي تفوح منها روائح الإثم والعدوان فقد بلغ الزنا والاعتداء على الأعراض والخطف أرقاماً خيالية حيث تخرج النساء من غير حسيب ولا رقيب، وكم أولاد الزنا الذين ينجون من عمليات الإجهاض والإسقاط وأستعمال الموانع؟

وكم نسبة الطلاق وحالات عصيان النساء وتمردهن على أزواجهن

والعياذ بالله ؟

وهذا كله من جراء خروج النساء كاسيات عاريات.

[١] - تحريم الخلوة للصباغ ص ٩ — ١٠، ص ٢٩ .

فمن يتمنى هذه الأحوال لنفسه أو لغيره؟ وبعد هذا كيف يمكن أن تُقبل دعوة إلى الاختلاط في أي مرفق من مرافق الحياة بل كيف يقع شيء من هذا مما وقع.

لقد حرم الله سبحانه الخلوة بالمرأة مهما كان الرجل حماية لأعراض المسلمين ومنعاً للفاحشة: (إياكم والدخول على النساء) البخاري ومسلم. (ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما).[1]

[ألا فليحذر الرجال والنساء والأمهات والآباء والأولاد والبنات والشباب والفتيات فليحذروا من التبرج والاختلاط وآثارهما الوخيمة].

٦. عذاب المحبين للغناء والموسيقى

لقد افتتن بعض الناس هداهم الله لكل خير بسماع الأغاني والموسيقى بمختلف أنواعها وألوانها، وصرفوا الكثير من أوقاتهم لسماع الأغاني التي تفسد العقول والقلوب والأخلاق، ونظراً للخطر العظيم للموسيقى والأغاني على الفرد المسلم سواء كان ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، ونظراً لوقوع الكثير في هذا الشر فإنني أتحدث عن هذا الداء في النقاط الآتية:

أ. أسماء السماع الشيطاني (الغناء):

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني له في الشرع بضعة عشر اسماً.

---

[1] ـ كتاب مهلاً يا دعاة الاختلاط للدكتور محمد بن ناصر الجعوان ص ١٩ ـــ ٢٠ .

اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورُقْيَة الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسُّمود:

أسماؤه دلَّتْ على أوصافه   تباً لذي الأسماء والأصاف

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة لقمان الآية ٦).

قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء.

وقال الواحدي أيضاً: قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن، وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء، فلفظ الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار، وهو كثير في القرآن. قال: ويدل على هذا ما قاله: قتادة في هذه الآية (لعله أن لا يكون قد أنفق مالاً، قال وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق.[1]

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بها، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء.[2]

[1] - إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم م١ ص ٢٣٧ ــ ٢٣٩ .

[2] - المصدر السابق ص ٢٥٠.

ويقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ولما أراد عدو الله أن يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الألحان المطربة، وآلات الملاهي والمعازف، وأنْ يكون من امرأة جميلة، أو صبي جميل ليكون ذلك إلى قبول النفوس لقرآنه وتعوضها به عن القرآن المجيد.[1]

وأما تسميته مزمور الشيطان: ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش وحَوَّل وجهه ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال دعهما، فلما غفل غمزتها فخرجتا).

يقول العلامة ابن القيم: تعليقاً على الحديث السابق ورداً على من يدَعُون المحكم الصريح لهذا المتشابه: فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان، وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب، الذي قيل في يوم حرب بُعاثٍ من الشجاعة والحرب وكان اليوم يوم عيد. فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبي أمرد صوته فتنة، يغني بما يدعو إلى الزنا والفجور، وشرب الخمور مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث مع التصفيق والرقص، وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان فضلاً عن أهل العلم والإيمان، ويحتجون بغناء جويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب، ونحوه في الشجاعة ونحوها في يوم عيد، بغير شبَّابة ولا دُفٍّ، ولا رقص ولا تصفيق، ويدعُون المحكم الصريح، لهذا المتشابه وهذا شأن كل مبطل.

---

[1] – المصدر السابق ص ٢٥٤ .

ويختم كلامه قائلاً:

نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على ذلك الوجه، وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك وبالله التوفيق.[1]

ب. كل غيور يجنب أهله سماع الغناء:

ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرَّق أهله سماع رُقية الزنى فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه.

ومن الأمر المعلوم عند القوم: أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء فحينئذ تعطي الليان.

وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً. فإذا كان الصوت بالغناء ثار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت ومن جهة معناه.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نْجَشَةَ حاديه، يا أنجشه رويدك رفقاً بالقوارير، يعني النساء. رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والطيالسي.

ج. لعمر الله كم من حرة أصبحت بالغناء من البغايا:

إن الذي يحب الاستماع للموسيقى والغناء فأنه يُعذب صنوفاً من العذاب بهذا الحب، وكما يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنىً وثروةٍ أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف

---

[1] - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم م/١ ص ٢٥٦ ـــ ٢٥٧ .

والحشايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلّت به أنواع البلايا، وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان، فلم يجد بُدّاً من قبول تلك الهدايا، وكم جَرَّع غصة وأزال من نعمة، وجلب من نقمة. وذلك من إحدى العطايا، وكم خبَّأ لأهله من آلام منتظرة وغموم متوقَّعَة، وهموم مستقبلة.[1]

[وهذه كلها أصناف من أصناف العذاب للمحبين للموسيقى والغناء ونسأل الله تعالى السلامة والعافية لنا ولهم وللمسلمين والمسلمات].

د. الموسيقى والغناء رُقيَة الزنا:

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: وأما سماعه من المرأة الأجنبية أو الأمرد فمن أعظم المحرمات وأشدها فساداً للدين.[2]

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: وأما تسميته رقية الزنا: فهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، فليس في رقى الزنا أنجع منه، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض.

قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا الحسين بن عبدالرحمن قال: قال فضيل بن عياض (الغناء رقية الزنا). قال: وأخبرنا إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال يزيد بن الوليد: يا بني أمُيَّة، إياكم والغناء فإنه يُنقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكِر، فإن كنتم لابُدَّ فاعلين، فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا.

---

[1] – إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم م/١ ص ٢٤٦ ـــ ٢٤٧ .

[2] – المصدر السابق ص ٢٣٠ .

قال: وأخبرني محمد بن الفضل الأزدي قال: نزل الحطيئة برجل من العرب ومعه ابنته مُليكة، فلما جنَّه الليل سمع غناءً، فقال لصاحب المنزل: كُفَّ هذا عني، فقال وما تكره من ذلك، فقال إن الغناء رائد من رَادَةِ الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه -يعني ابنته- فإن كففته وإلا خرجت عنك.

هـ. الإجماع على تحريم الموسيقى والغناء:

حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدُّف والشبَّابه والغناء فقال في فتاويه: وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحدٍ ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف -أنه أباح هذا السماع، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة، والدف منفرداً، فمن لا يُحَصِّل، أو لا يتأمل، ربما اعتقد خلافاً بين الشافعيين في هذا السماع الجامع لهذه الملاهي وذلك وَهْم بيِّن من الصائر إليه تُنَادي عليه أدلة الشرع والعقل.[1]

ويقول الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحمدان (مدير مركز الدعوة والإرشاد بجدة): **هل تحريم الموسيقى مسألة خلافية قابلة للنقاش واختلاف الآراء، أم هي مسألة مجمع على تحريمها، وأغلق باب النقاش فيها؟**

الجواب:

إنها مسألة مجمع على تحريمها مِن قِبَلِ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتابعيهم بإحسان. وهي مسألة لا تقبل النقاش واختلاف الآراء.[2]

---

[1] - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم م/١ ص ٢٢٨ .

[2] - أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء للشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحمدان ص ٨٠ .

[وقد ذكر الشيخ الحمدان ـ حفظه الله ـ الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم الموسيقى والغناء. وذكر كذلك ستة وعشرين إماماً من كبار أئمة المسلمين، ذكروا أن مسألة الغناء والموسيقى مسألة مجمع على تحريمها. ومن أراد التوسع فليرجع إلى الكتاب المذكور للشيخ الحمدان].

[ثم ذكر الشيخ الحمدان قول العلامة ابن حجر الهيثمي حيث قال العلامة ابن حجر الهيثمي: ومن حكى فيها خلافاً فقد غلط، أو غلب عليه هواه حتى أصمه وأعماه، ومنعه هداه وزل به عن سنن تقواه.[1]

و. أنواع الغناء المباح وشروطه اللازمة فيه :

المراد بأنواع الغناء المباح: مجرد رفع الصوت وموالاته بتطريب وترنم بدون أن تصحبه موسيقى وهو أنواع، وله شروط حتى يكون مباحاً.

أ. أنواع الغناء المباح :

١ـ حداء الإبل.

٢ـ الرجز في الحرب لتشجيع الفرسان أنفسهم على خوض المعارك.

٣ـ الغناء الذي يستعمله الناس لتخفيف شدة العمل.

مثال: قول المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبدا

فيجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر معهم:

---

[1] ـ أحكام الموسيقى والغناء للشيخ الحمدان ص ٨٨ .

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة   فأكرم الأنصار والمهاجرة

٤ـ ترقيص الأم طفلها.

٥ـ غناء النساء في الأعراس، ومناسبات الختان وقدوم مسافر وفي الأعياد.

ب ـ شروط الغناء المباح:

١ـ أن لا يكون فيه كلام مخالف للشرع من شرك وفحش وهجاء للمسلمين وتغزل بالأجنبيات ووصف للخمور.

٢ـ أن لا يشغل عن أداء فريضة أو يكون سبباً لتضييع واجب.

٣ـ إذا كان صادراً عن امرأة بالغة فلا يجوز أن يسمعها رجال أجانب، سواء كانت تغني أمامهم، أو من وراء حجاب، لأن ذلك يبعث على التلذذ بصوتها، والتلذذ يقضي حتماً إلى الافتتان، وهذا واضح لا يجادل فيه منصف، أما إذا كانت جارية صغيرة لا يخشى منها فتنة فلا بأس.

٤ـ أن لا يكثر منه، فإن أكثر منه وعُرف به، أو أخذ أجرة فهو سفيه ترد شهادته عند العلماء، كما هو مقرر في كتب الفقه، وقد نص على ذلك الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ.

٥ـ أن يكون بدون موسيقى، فإن صَحِبتْه موسيقى فهو حرام بكل حال إلا الدُف وهو دف العرب المعروف شبيه بالغربال فهذا جائز، بشرط أن يكون بدون جلاجل وتستعمله النساء فقط في الأعراس والولائم والأعياد وقدوم مسافر، ولا يُتوسع فيه بأكثر مما وردت الرخصة به في السنة، أما الرجال فلا يجوز لهم استعمال الدف.[1]

---

[1] ـ أحكام الموسيقى والغناء للشيخ أحمد الحمدان ص ١٩ ـــ ٢٥ .

ز. حرص أعداء الإسلام على نشر الموسيقى والغناء:

هاهم جنود إبليس من يهود ونصارى وأعوانهم حريصون كل الحرص على نشر الموسيقى والغناء بين صفوف المسلمين لعلمهم: أنها من أعظم الوسائل التي تخدر الشعوب، وتلهيهم عن قضاياهم المصيرية، وتجعلهم أذنابًا لكل ناعق، وذلك أنها من أعظم وسائل إبعاد الناس عن هدي ربهم.

ولِمَا للموسيقى والغناء من خطورة عظيمة في السيطرة على عقول الناس بادر إبليس وجنوده من يهود ونصارى وأتباعهم فسيطروا على وسائل الإعلام العالمية وجَنَّدُوا لها كّماً هائلاً من المغنيين والمغنيات، وواضعي الألحان ومؤلفي الكلمات التي ما أنزل الله بها من سلطان وزودوهم بالوسائل المغرية المختلفة من مال وخمر وغواني ووجهوا الشعوب توجيهاً يخدم أهدافهم ضد الإسلام.

ح. عذاب المحبين للموسيقى والغناء:

إن الذي يحب الغناء والموسيقى من الرجال والنساء يعيش عذاباً لا يعلمه إلا الله، ومن العذاب الذي يعيشه أهل الفن والموسيقى والأغاني:

أنه من أعظم وسائل إبليس التي أضل بها عباد الله، وصدهم عن هداه، وهي سبب كبير من أسباب العزوف عن سماع كلام الله وثقله على القلوب، وعدم تأثرهم بما جاء فيه، وهي سبب لخواء القلب من الإيمان وهي سبب ثقل اللسان عن ذكر الرحمن، فيقل ذكره على لسان العبد، وهي سبب لفتح طرق الشيطان وصد عن سبيل الرحمن، وقلب عمَّره إبليس وباض فيه وفرخ لن يتورع عن الوقوع في العصيان، لأن الموسيقى تدعو إلى استيفاء الشهوات بحسب الإمكان، والموسيقى تأمر بالفحشاء والمنكر ومن أنكر ذلك فإنه يخادع نفسه.

إن ترديد الأغاني يجعلها تَثْبتُ في أذهان السامعين، فَيَثْبُتُ المضمون الفكري لألفاظها، حتى تكون مع الزمن أموراً مُسلماً بها، وعقائد راسخة، مع أنك لو وضعت كلماتها على المشرحة، لوجدت فيها من الكلام السخيف، والألفاظ البذيئة، والأفكار المخلّة، والعقائد الباطلة ما لا يقبله العامي فضلاً عن المتعلم، لكنها لَمَّا غُلِّفَتْ بغلاف الألحان الْمُسْكِرِ، الذي أسكر عقول السامعين قَبِلُوها وردَّدوها دون مناقشة أو نظر.

فكم من أغنية كانت سبباً لوقوع الفتيات في أحضان الذئاب البشرية.

وكم من أغنية كانت سبباً لنشر أفكار إلحادية، وكم من أغنية كانت سبباً لنشر نعرات إقليمية قومية تصادم الوحدة الإسلامية. وكم وكم.[1]

ومن أراد المزيد من أضرار الأغاني والموسيقى فليرجع إلى شريط بعنوان (ألحان وأشجان) للشيخ الدكتور محمد بن عبدالرحمن العريفي.

[1] – أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء بقلم أحمد بن عبدالعزيز الحمدان ص ٦ ـــ ١١ .

٧. عذاب المحبين للدنيا

١. أضرار حب الدنيا والتعلق بها:

حب الدنيا هو الذي عمّر النار بأهلها والزهد في الدنيا هو الذي عمر الجنة بأهلها.

والسُّكْرُ بالدنيا أعظم من السُّكْرِ بالخمر فصاحبه لا يفيق إلا في ظلمة اللحد، قال يحيى بن معاذ:

الدنيا خمر الشيطان مَنْ سكر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين، وأقل ما فيها أنه يلهي عن حب الله وذكره ومن ألهاه ماله فهو من الخاسرين، وإذا لهى القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد، ومن فقهه في الشر أنه يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل الخير.

٢. لماذا كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسداً للدين؟

قالوا: وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسداً للدين من وجوه:

أحدها: أن حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله.

ثانيها: أن الله لعنها ومقتها وأبغضها إلا ما كان له فيها.

ثالثها: أنه إذا أحبها صيرها غايته، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فَعَكَسَ الأمر وقلب الحكمة.

رابعها: أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة باشتغاله عن محبوبه. والناس ها هنا مراتب:

فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه، ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في

الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فيفرط في وقته وفي حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب وتفريغه لله عند أدائه فيؤديه ظاهراً لا باطناً. وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبتها وهذا من أندرهم، وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد، وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه، وجمع لسانه وقلبه على ربه فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة والابد.

خامسها: أن محبتها تجعلها أكبر هم العبد، فقد روى الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره في عينيه، وفرَّق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له). والحديث في الصحيحة كما ذكر أحمد فريد مؤلف كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق.

سادسها: أن محبها أشد الناس عذاباً بها وهو معذب في دوره الثلاث قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (سورة التوبة الآية ٥٥).

قال بعض السلف: يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها.

وسابعها: أن عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً، إذ آثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع

حياة الأبد في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع.

وكان بعض السلف يتمثل هذا البيت:

يَا أهْلَ لذاتِ دنيا لا بقاءَ لها إنَّ اغتراراً بظلٍ زائلٍ حُمْقٌ

قال يونس بن عبد الأعلى: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم فرأى في منامه ما يكرهه ويحبه فبينما هو كذلك انتبه.

٣ـ أشبه الأشياء بالدنيا: الظل والسراب:

أشبه الأشياء بالدنيا ظل تحسب أن له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض فتتبعه لتدركه فلا تلحقه.

وأشبه الأشياء بها السراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

وأشبه الأشياء بها: عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر غرارة بالأزواج تَزَّيَنَتْ للخطاب بكل زينة وسترت كل قبيح، فاغتر بها من لم يجاوز بصره ظاهرها فطلب النكاح فقالت: لا مهر إلا فَقْدُ الآخرة فإننا ضرتان واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح، فآثر الْخُطاب العاجلة، فلما كُشف قناعها وحُل إزارها إذا كل آفة وبلية، فمنهم من طلّق واستراح ومنهم من اختار المقام فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح.[1]

٤ـ أذنَ مؤذنها بحي على غير الفلاح:

تالله لقد أذن مؤذنها على رؤوس الخلائق بحي على غير الفلاح، فقام المجتهدون والمصلون لها فواصلوا في طلبها الغُدُوَّ بالرواح،

[1] - البحر الرائق في الزهد والرقائق لأحمد فريد ص ١٩٨ ــ ٢٠٢ باختصار.

وسرواليلهم فلم يحمد القوم السرى عند الصباح، طاروا في صيدها فما رجع أحد منهم إلا وهو مكسور الجناح، فوقعوا في شبكتها فأسلمتهم للذباح.[1]

٨- عذاب المحبين لفاحشة الزنا

الحمد لله الذي حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحذر من قربانها، والأسباب الموصلة إليها، رحمة بعباده وصيانة لهم عما يضرهم في دينهم ودنياهم.[2]

وسوف أتناول الموضوع من خلال النقاط التالية وأسأل الله لنا وللجميع الهداية والتوفيق:

أولاً: الزنا من أعظم الفواحش وأعظم المفاسد

من أعظم الفواحش التي حرمها الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فاحشة الزنا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٢)، فمفسدة الزنا من أعظم المفاسد.

ثانياً: مفسدة الزنا منافية لمصلحة نظام العالم

وفاحشة الزنا منافية لمصحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتَوَقِّي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين

---

[1] - المصدر السابق ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ .

[2] - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان م/١ ص ٣٣٥ بتصرف يسير.

الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه وفي ذلك خراب العالم.[1]

ثالثاً: السدود المنيعة التي تَحُولُ بين العباد وفاحشة الزنا

إن الله كما بين شناعة الزنا وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة فقد وضع السدود المنيعة التي تحول بين العباد وبين تلك الجريمة الشنعاء وتقيهم شر مخاطرها متى التزموا بإقامة هذه السدود والحواجز.

وهذه الحواجز هي:

أولاً: إقامة الحد على الزاني البكر والثيب.

ثانياً: وأمر سبحانه بغض البصر فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (سورة النور الآية ٣٠ ـ ٣١)، فلما كان مبدأ الوقوع في جريمة الزنا من قبل البصر جعل سبحانه الأمر بغضه مقدماً على الأمر بحفظ الفروج فإن كان الحوادث مبدؤها من النظر كما أن معظم النار من مستصغر الشرر.

فمن أطلق نظره إلى ما حرم الله أوْرَدَ نفسه موارد الهلاك وقد قال صلى الله عليه وسلم : (يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية)، يعني النظرة الأولى التي وقعت بدون قصد.

وقال صلى الله عليه وسلم : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس) رواه الإمام أحمد.

---

[1] – نفس المصدر السابق .

ثالثاً: كما أمر الله نساء المسلمين بالحجاب وهو ستر وجوههن وأجسامهن عن الرجال صيانة لهن وللرجال من الوقوع في الفاحشة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٣).

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مُحْرِمَات فإذا مر بنا الرجال سدلت أحدنا خمارها على وجهها فإذا جاوزنا كشفناه).

رابعاً: ومنع الإسلام خلو الرجل بالمرأة التي ليست من محارمه لأنَّ ذلك مدعاة إلى إغراء الشيطان لهما بالفاحشة مهما بلغا من التقوى والدين، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم).

فمن خلا بامرأة لا تحل له فقد عصى الله ورسوله وعرَّض نفسه للفتنة سواء خلا بها في بيت أو مكتب كما يفعل تلاميذ الغرب ومقلدوهم من تشغيل المرأة مع الرجل وخلوته بها في العمل في المكتب والمتجر وكذا ركوب المرأة مع الرجل الأجنبي في السيارة خاليين وكذا ما يفعل بعضهم من جعل خادم في البيت من الرجال الأجانب يخلو مع المرأة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت في الصحيحين: (إياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو قال: (الحمو الموت).

والحمو هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه. فإذا كان قريب الزوج ممنوعاً من الدخول على امرأته مع أنه قد يكون ذا غيرة عليها وعلى فراش قريبه فكيف بالأجنبي الذي يدخل على المرأة بصفة خادم أو سائق ولا يغار على حرمة صاحب البيت؟

خامساً: وحرم الإسلام سفر المرأة بدون محرم لأن في ذلك ضياعاً لها وغياباً عن الرقيب من أوليائها والغيورين عليها، وهي المرأة الضعيفة التي سرعان ما تخضع لافتراس الذئاب البشرية رغبة أو رهبة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها).

سادساً: وحرم الإسلام تبرج النساء وهو خروجهن بثياب الزينة والطيب لأن ذلك مدعاة لصرف الأنظار المريبة إليها ووسيلة إلى وقوع الفاحشة قال تعالى:﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٣٣).

وقد خالف كثير من نساء المسلمين ـ هداهن الله للحق والثواب ـ اليوم هذه الآية الكريمة فصرن يلبسن أفخر ثياب الزينة ويتطيبن بأفخر الطيب عند الخروج إلى الأسواق أو غيرها وكفى بذلك إثماً مبيناً.

وإذا كان خروج المرأة إلى المسجد للعبادة مشروطاً بترك الزينة والطيب فكيف بخروجها إلى غير المسجد؟؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن تفلات) رواه أحمد وأبو داود والشافعي. وتفلات يعني غير متزينات.

(وروى مسلم في صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: كاسيات بلباس يصف البشرة ويبدي بعض تقاطيع أبدانهن كالعضد والعجيزة فهن كاسيات بلباس عاريات حقيقة.

كذلك من دواعي الزنا سماع الأغاني،[1] وقد حرم الإسلام الاستماع للأغاني.

رابعاً: وجوب تجنب الأسباب الموقعة في فاحشة الزنا

عباد الله: لما كان الزنى منتهى القبح والشناعة حرمه الله وحذر منه وتوعد فاعله بأشد العقوبات العاجلة والآجلة، وحرم الوسائل والأسباب التي توصل إليه.

ومن الأسباب التي توقع في الزنا السفر إلى البلاد الإباحية في الشرق والغرب في بلاد العرب أو في بلاد العجم.

[1] - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان ج١ ص ٣٣٥ ــ ٣٣٩ .

ومن الأسباب النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه من نظر الرجال إلى النساء ونظر النساء إلى الرجال ومن الأسباب الموقعة في الزنا النظر إلى الصور الخليعة في أفلام الفيديو وفي الصحف والمجلات الماجنة.

ومن الأسباب الاستماع إلى الأغاني الخليعة في الإذاعات والأشرطة المفسدة.

ومن الأسباب الموقعة في الزنا اختلاط النساء مع الرجال وخلوة الرجل بالمرأة في سيارة أو مكتب أو بيت لأي غرض سواء كان لعمل وظيفي أو بيع وشراء أو لتعليم أو لعلاج.

ومن الأسباب: خروج المرأة من بيتها متزينة بأنواع الزينة في ملابسها وبدنها.[1]

ومن أسباب الزنا المعاكسات بأنواعها.[2]

خامساً: عقوبة المحبين للزنا في الدنيا والآخرة

١. الجلد والتغريب والرجم:

إقامة الحد على الزاني بجلد البكر وتغريبه - أي نفيه من البلد لمدة عام، ورجم الثيب بالحجارة حتى يموت، وقد حث سبحانه على الصرامة في إقامة حد الزنا وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما وعدم تعطيل الحد أو الترفق في إقامته تراخياً في دين الله، وأمر بإقامته في

[1] - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان ج٢ ص ٢٦٠ ـــ ٢٦٣ .

[2] - ومن أراد معرفة خطر المعاكسات، فليرجع إلى كتاب (عذاب المحبين للمعاكسات) لمنير محمد صالح بابقي، وفيه الآثار السيئة للمعاكسات على الفرد والأسرة والمجتمع.

مشهد عام يحضره طائفة من المؤمنين فيكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين.[1]

٢. أرأيتم لو وضعها في حرام:

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (وفي بضع أحدكم صدقة)، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم.[2]

٣. إنهم الزناة والزواني:

روى البخاري في صحيحه من حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور وإذ فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذ يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا (أي صاحوا) ولما سأل عنهم أخبر أنهم الزناة والزواني.

٤. الفاحشة سبب ظهور الأمراض المستعصية:

في الحديث الذي رواه ابن ماجه (ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطوعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.[3] ومن هذه الأمراض:

أ. الهربس:

يقول الشيخ صالح الفوزان تعليقاً على الحديث السابق: ومصداق ذلك يا عباد الله ما حدث في البلاد الإباحية في أوروبا وشرق آسيا هذه

---

[1] - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان ج١ ص ٣٣٦ .

[2] - المصدر السابق ص ٢٦١ .

[3] - المصدر السابق ج٢ ص٢٦١ .

الأيام من هذا المرض الخطير، وهو المرض المسمى (بالهريس) وقد نوهت عنه الصحف والمجلات.

وذكرت التقارير الدقيقة أن سبب الإصابة بهذا المرض هو السفر إلى البلاد الإباحية أو قدوم الوافدين من تلك البلاد واختلاطهم بالأصحاء وأن هناك عدداً من المصابين بهذا المرض يرقدون في المستشفيات أو يراجعون العيادات الخارجية بدون جدوى وصدق الله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٢).

ب. موت المئات والآلاف من الناس بالإيدز:

يقول الشيخ الدكتور صالح الفوزان في خطبة بعنوان (بمناسبة ظهور مرض الإيدز): أيها الناس اتقوا الله تعالى واحذروا المعاصي فإنها سبب العقوبات العاجلة والآجلة فما حل في العالم بلاء إلا وهي سببه. وقد تناقل العالم في هذه الأيام بواسطة وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام المختلفة نبأ حدوث وباء خطير سموه طاعون العصر الحديث. أخذ ينتشر بسرعة وتموت فيه المئات والآلاف من الناس، وهو ما يسمى بمرض الإيدز أو فقد المناعة في الجسم الإنسان حتى يصبح معرضاً للإصابة بالأمراض والأورام الخبيثة التي تقضي عليه بسرعة، ورغم البحوث الطبية لم يتوصل الطب على تقدمه إلى علاج له فصار مرضاً مستعصياً وقد ذكر الأطباء أن السبب لهذا المرض هو الزنا واللواط وتناول المخدرات وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٢).

تاسعاً- عذاب المحبين للسفر والسياحة المحرمة

وسوف أتحدث عنه من خلال النقاط الآتية:

أ. الإيدز هو الوكيل المعتمد للسياحة الجنسية:

يقول الشيخ الدكتور صالح الفوزان: ومن الأسباب التي توقع في الزنا السفر إلى البلاد الإباحية في الشرق أو الغرب في بلاد العرب أو في بلاد العجم.[1]

ويقول الدكتور حسان شمسي باشا عندما تحدث عن الإيدز. وكما هو معروف فإن المرض ينتقل عبر الساقطات والأشخاص الشاذين جنسياً، ففي تايلاند هناك أكثر من ٢٠٠ ألف شخص مصاب بالفيروس، إما عن الهند فإن ١٥٪ من مومسات بومباي مصابات بالفيروس وفي مدن أخرى ترتفع النسبة إلى ٣٠٪ وقد حصدت السياحة الجنسية في العقد الماضي ١٤ مليون ضحية وفي العام ٢٠٠٠ قد يرتفع العدد إلى ١٢٠ مليون ضحية والإيدز هو الوكيل المعتمد لهذه السياحة الجنسية في الداخل كما في الخارج.[2]

ب. الإيدز عذاب نفسي وجسدي كبير:

يقول الدكتور الباشا استشاري أمراض القلب - حفظه الله -:

ويصاب مريض الإيدز بعذاب جسدي ونفسي كبير فهو عُرْضة لأي جرثوم مهما كان بسيطاً تهوي معه صحته إلى أسفل سافلين فيصاب

[1] - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان ج٢ ... ص ٢٦٢

[2] - الداء والدواء بين الأطباء والأدباء للدكتور حسان شمسي باشا ص ٩٥

بالهزال والألم والحمى ويفقد شهيته للطعام إضافة إلى العذاب النفسي الكبير وعذاب الإيدز ربما لا يقل عن أشد أنواع العذاب.[1]

وأخيراً: إحصاء خطير:

فوفقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية فإن هناك الآن مليون مصاب بمرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز) وفي نهاية هذا القرن (أي بعد ثلاث سنوات) سوف يرتفع العدد إلى ٤٠ مليون مصاب.. غير أن إحصاءات أخرى تبدو أقل تفاؤلاً ترتفع العدد استناداً إلى وقائع ثابتة إلى ١٢٠ مليون مصاب.[2]

ج: صورة ومشهد لعذاب المحبين للزنا

رجل كان واقفاً إزاء داره فمرت به جارية لها منظر فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب، فدخلت الدار ودخل وراءها فلما علمت بالأمر أظهرت له البشرى والفرح وقالت: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت فهام الرجل وأكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطريق وهو يقول:

يا رُبَّ قائلة يوماً وقد تَعبتْ ... كيف الطريق إلى حمام منجاب

فبينما هو يوماً يقول ذلك أجابته جارية مِنْ طاق:

هلا جعلت سريعاً إذ ظفرت بها ... حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

[1] - الداء والدواء للباشا ص٩٧ .

[2] - الداء والدواء للباشا ص٩٦.

فازداد هيمانه بها ، حتى حضرته الوفاة فكان آخر كلامه من الدنيا هذا البيت ولم ينطق بالشهادة.[1]

* * *

[1] - أخي الشاب كيف تواجه الشهوة لمحمد الدويش ص١٠ .

المبحث الثامن

العلاج المهم والضروري لعذاب المحبين

على الإنسان المسلم ذكراً كان أو أنثى أن يعيش نعيم الحب في طاعة الله ونعيم الحب لله وأن يتخلص من عذاب الحب لغير الله تعالى من إنسان أو مال أو منصب أو أي شيء من أشياء الدنيا والسبيل إلى ذلك سهل وميسور بإذن الله فيكون:

أولاً: بصدق اللجوء إلى الله تعالى والإنابة إليه والتوبة الصادقة ومجاهدة النفس فقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (سورة العنكبوت الآية ٦٩).

ثانياً: بمخالفة الهوى الذي يصد صاحبه عن الحق ويعميه عن الخير وبالخوف من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة النازعات من ٤٠ ـ ٤١). ومن أراد الجنة فليبذل لها نفسه وقلبه وعقله وجوارحه ويجعل حياته كلها لله رب العالمين.

ثالثاً: وهناك أمر مهم جداً وضروري وهو: أن يستبدل الحرام بالحلال وأن يشغل نفسه بالطاعة عن المعصية: كما قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية. وليعلم علم اليقين أن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا لما فيه من الضرر العظيم على دين المرء وخُلقه ونفسه وعرضه وعقله ومجتمعه وأمته وليعلم علم اليقين كذلك أن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا وجعل بدلاً عنه الكثير والكثير

من الحلال وليكن شعاره اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وأكفني بفضلك عمن سواك.

لقد حرم الله الزنا والفواحش، وأحل الزواج، حرم الله الخمر والمسكرات والمخدرات وأحل جميع المشروبات الطيبة. فمن تعلق قلبه بحب غير الله تعالى كالحب المحرم بين الرجل والمرأة عن طريق المعاكسات في الهاتف أو الجوال أو غيرهما من الطرق فلينتقل بذلك إلى ملئ قلبه بحب الله تعالى وبحب رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة القرآن الكريم ومحبة الصحابة رضي الله عنهم والعلماء والصالحين وكذلك عليه أن يسعى في الزواج وأن يشغل قلبه وعقله بطاعة الله تعالى، لأن هذه العلاقات المشبوهة بين الرجال والنساء هي من أسباب عذاب القلب وجحيمه، ومن أسباب فساد العقل وتصوره ومن أسباب شغل الجوارح بغير طاعة الله تعالى وهي سبب والعياذ بالله في الوقوع في الحرام والزنا.

وعلى من تعلق قلبه بحب الأغاني والموسيقى والمزامير من الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء والمرضى والأصحاء أن يستبدلوا ذلك بحب القرآن قراءة وتدبراً وحفظاً وبخشوع قلب وما أجمل كلام الله وخاصة أنه يُقرأ بصوت ندي وجميل رائع من عدة مشايخ فضلاء وخاصة أن هناك قناة خاصة بالقرآن الكريم في قناة المجد الفضائية.

وليستمع كذلك إلى المفيد من الأشرطة الإسلامية التي فيها دعوة إلى الخير وإلى الفضيلة وفيها غنى للصغار والكبار والرجال والنساء عن الأغاني والمزامير التي تصد عن سبيل الله وتشغل القلب بغير ذكر الله عز وجل. وليعلم الأثر السيئ للأغاني وما تحتوي عليه من الموسيقى

والكلمات الماجنة والأشعار المفسدة والدعوة إلى الفجور والخنا إضافة إلى ما يصاحبها من رقص وإثارة للفتن والشهوات وأثارها الخطيرة والمدمرة على القلب واللسان والعقل والجوارح. وليعلم أنه مسؤول عن هذه الأموال التي تنفق على شراء أشرطة الأغاني والاستماع إليها وليطهر بيته من مزمار الشيطان حتى تدخل الملائكة، ويكون بيته كما قال صلى الله عليه وسلم : (مثل البيت الذي يذكر الله تعالى فيه والبيت التي لا يذكر الله تعالى فيه مثل الحي والميت). حديث صحيح.

ومن تعلق قلبه أو تعلق قلبها بقراءة كتب الحب وقصص الغرام. فليقرؤا الكتب النافعة التي تزكي القلوب وتطهر النفوس وليقرؤا كذلك في قصص القرآن أحسن القصص وقصص الأنبياء وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومن تعلق قلبه بحب أشعار الغزل فلينتقل إلى حب الشعر الذي يعلي شأن الإسلام ويرفع قدر المسلم إلى الشعر الإسلامي الخالد الذي ينبع من أنقى ينبوع من العقيدة الإيمانية، الشعر الذي يعتمد على اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، الشعر الذي يخدم الدعوة الإسلامية، لينتقل من شعر الغزل وشعر الضياع وشعر الفساد إلى الشعر الذي يربط المخلوق بخالقه ويجعل القلب يزداد إيماناً ويقيناً ويملؤ النفس قوة وحيوية ونشاطاً وعبودية لله تعالى وليكن قدوته في ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكعب بن مالك وغيرهم من صحابة رسول صلى الله عليه وسلم وكذلك غيرهم من شعراء الأمة الإسلامية الذين يريدون من شعرهم أن يكون سبباً في إعلاء كلمة الله وتكون كلمة الذين كفروا السفلى.

ومن تعلق قلبه من المسلمين والمسلمات بحب أهل الفن من المغنيين والمغنيات والممثلين والممثلات فليعلم وليتيقن أن حب هؤلاء لا يأتي بخير بل هو الشر كله وليبدل ذلك الحب المُمرضَ إلى حب العلماء والصالحين والدعاة إلى الخير والفضيلة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى حب التائبين العابدين الحامدين الراكعين الساجدين الصائمين القائمين. إلى حب أصحاب الأيادي البيضاء والقلوب الصافية الذين يقدمون للناس وللأمة كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ومن تعلق قلبه بحب مجالس اللهو والغيبة والنميمة ومجالسة أصحاب السوء فليجلس مع الصالحين، لينتقل إلى مجالس العلم ومجالس الذكر وليكن قلبه معلقاً بالمساجد، ومن تعلق قلبه بالذهاب إلى أماكن الاختلاط والفساد والسفر والسياحة للحرام وللمعاصي فليردع نفسه عن هذه الأماكن وليحذر أن يأتيه الموت وهو في سياحة لمعصية الله تعالى أو في مكان ينتشر فيه الشر والرذيلة. وعليه الذهاب إلى الأماكن البعيدة عن الاختلاط والخلوة المحرمة والبعيدة عن مواطن الشر والفساد وليجعل خطواته إلى المساجد وتوجهه إلى طاعة الله تعالى وليذكر نفسه بالموت دائماً وأبداً.

ومن تعلق قلبه بحب الصور والأفلام فلينظر إلى مخلوقات الله العظيمة والبديعة من السماوات والبحار والأنهار والأشجار وليتأمل في كتاب الله تعالى. وليعلم أن النظر إلى النساء أو النظر إلى المردان في التلفاز أو المجلات أو في غيرها من الوسائل حرام وأنه سبب في مرض القلب وفساده وأنه سبب في عذاب القلب وشتات العقل وكسل الجوارح عن السباق إلى الخير والتنافس إلى الجنات.

إن النظر إلى المناظر الخليعة سبب في فساد الأخلاق والمجتمعات ولهذا قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (سورة النور الآية ٣٠ ـ ٣١).

وليعلم كل مسلم ولتعلم كل مسلمة إن إطلاق البصر إلى المحرمات من النساء وغيرهم سبيل إلى الحرام وما يؤدي إلى الحرام فعلى المسلم والمسلمة أن يجتنبوه ولهذا قال تعالى عندما حرم الزنا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٢).

وكذلك فإن الأفلام التي تحمل مضموناً إسلامياً وتتقيد بضوابط الشرع وتحمل أفكاراً هادفة وبنَّاءَة تنفع المسلمين والمسلمات في دينهم ودنياهم هي بديل عن الأفلام والمسلسلات الهابطة في القنوات الفضائية وغيرها. وكذلك فإن أشرطة الفيديو الإسلامية بديل لكل مسلم ومسلمة مع ما فيها من التسلية والفائدة.

وعلى المسلمين البحث عن هذه الكنوز والتمسك بها لأنها سبيل إلى الخير وإلى الهداية والصلاح وشغل للنفس وللناس وللأمة بالطاعة عن المعصية.

ومن تعلق قلبه بالسهر على المعاصي وعلى مجالس اللهو فليستبدل ذلك بالنوم المبكر أو بالمناجاة بين يدي الله تعالى صلاة وذكراً وإنابة فقد امتدح الله تعالى المستغفرين بالأسحار.

ومن تعلق قلبه بالمال وحب الدنيا والجاه والسلطان فليعلم أن هذه الأشياء كلها عرض زائل وأن الحياة الدنيا متاع الغرور. وليتذكر قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها   يمسي ويصبح في دنياه سفاراً
هلا تركت لي ذي الدنيا معانقة   حتى تعانق في الفردوس أبكاراً
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها   فينبغي لك أن لا تأمن النار

وليتذكر قول الشاعر:

إن لله عباداً فطنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتن
نظروا فيها فلما عرفوا   أنها ليست لحي سكنا
جعلوها لجة واتخذوا   صالح الأعمال فيها سفنا

وليتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير لي مما طلعت عليه الشمس). حديث صحيح.

إن الإنسان كل إنسان لابد أن يستبدل الشر بالخير والضار بالنافع ليحيا قلبه ويشعر بطعم الحياة الطيبة وتسعد نفسه ويشعر الفرد وتشعر الأسرة والمجتمعات والدول والأفراد بنعيم الحب لله تعالى والذي امتدح الله به المؤمنين في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ) البقرة الآية١٦٥ . لأن هذا الحب حب دائم وخالص ويقيني. وبهذا الحب السامي والمقام الرفيع وبتلك المعاني الكريمة تزكو النفوس وتطهر القلوب وتصلح المجتمعات وتستقر حياة الناس ويتحقق الخير والنصر من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين الراجين الخائفين العابدين ويحيق الذل

والهوان والصغار بالكافرين. فهيا إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات لنعيش نعيم الحب لله رب العالمين ونستمتع بنعيم المحبين.

* * *

الخاتمة

إخواني المسلمين وأخواتي المسلمات. ها نحن قد عشنا في هذا الكتاب نعيم الحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والحب للقرآن وللصحابة رضي الله عنهم، ورأينا كيف يعيش المؤمنون والمؤمنات نعيم الحب.

ويتفيؤن ظلاله ويسعدون به في الدنيا ويتنعمون به في الدار الآخرة.

كما ذكرت لكم أنواع المحبة وآثار المحبة وتوابعها وتطرقت كذلك إلى القلب والحب، وعشنا نعيم الحب للجنة والشوق إليها نسأل الله العظيم من فضله.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى عذاب المحبين وبينت فيه أسباب العذاب وفصلت فيه أنواعاً من عذاب المحبين. كمحبة الشهوات المحرمة والمعاصي، ومحبة الغناء والموسيقى، ومحبة التبرج والاختلاط، ومحبة السياحة المحرمة والزنا والفواحش، ومحبة الدنيا وبعد ما رأينا نعيم الحب وعذاب المحبين وذكرت لكم العلاج الهام والضروري لعذاب المحبين.

فإني أقول لنفسي ولكل مؤمن ومؤمنة أما آن لنا أن نتذوق نعيم الحب ونعيش في ظلاله، أما آن لنا أن نتشوق إلى محبة الله وإلى جناته؟

فالعمر قصير ويوم القيامة قريب وعسير، وأقول للمعذبين بالحب أفيقوا أما آن لكم أن تعودوا إلى رياض المحبة الصادقة إلى متى تتعذبون بالحب المحرم والحب للمعاصي والأغاني والفواحش، إلى متى تتركون التوبة والأوبة عودوا إلى الله لتعيشوا نعيم الحب كما عاشه المحبون الصادقون الخاشعون.

مراجع كتاب

نعيم الحب وعذاب المحبين

لأبي أنس / منير محمد صالح بابقي

١ـ تهذيب مدارج السالكين كتبه ابن قيم الجوزية وهذبه عبدالمنعم العزي. الإمارات. وزارة العدل.

٢ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٤١٧هـ .

٣ـ تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير المجلد الأول دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .

٤ـ كتاب ففروا إلى الله لعبد المنعم بن حسين القلموني مكتبة ابن تيمية.

٥ـ الداء والدواء للإمام ابن القيم ـ تحقيق علي حسين عبدالحميد. دار ابن الجوزي السعودية ط٤ ١٤٢١هـ .

٦ـ كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت دار الكتاب العربي ط٣ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧ـ مختصر منهاج القاصدين للشيخ الإمام أحمد بن عبدالرحمن المقدسي المتوفى سنة ٦٨٩ـ تحقيق علي حسن عبدالحميد ط٢ ١٤١٥هـ، دار عمار الأردن.

٨ـ كتاب الرجل المئة لعبد اللطيف بن هاجس الغامدي دار الشريف ١٤١٩هـ.

٩- العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية للدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن المحيميد ط١ ١٤٢٤هـ،

من مطبوعات ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٠- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام تأليف الإمام الحافظ عبدالغني المقدسي تحقيق وتعليق وتخريج محمود الأرناؤوط دار الثقافة العربية ط٣ ١٤١٢هـ.

١١- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة للدكتور محمد بن علي الهاشمي دار البشائر الإسلامية ط٩ ١٤٢٢هـ .

١٢- عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام لعبدالله ناصح علوان دار السلام بيروت ط٤ ١٤٠٣هـ.

١٣- مصعب بن عمير الداعية المجاهد لمحمد حسن بريغش. دار القلم دمشق - بيروت ط٢ ١٣٩٥هـ .

١٤- رياض الصالحين للإمام النووي بتحقيق جماعة من العلماء تخريج محمد ناصر الدين الألباني إشراف زهير الشاويش ط١ ١٤١٢هـ، المكتب الإسلامي.

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن السعدي المجلد الأول دار المدني.

١٦- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم المجلد الأول، دار المعرفة - بيروت.

١٧- العبث المدمر لعبدالله السالم.

١٨ـ مجالس النساء" لعبدالرحمن المحمدي" الجزء الثاني. ط١ ١٤١٧هـ - دار المحمدي جدة.

١٩ـ مجلة المجتمع العدد ٩١١٤٩ ذو الحجة ١٤١٥هـ.

٢٠ـ من وحي الواقع للشيخ "محمد بن ناصر العريني" تقديم الشيخ "عبدالله الجلالي" ط١ ١٤١٢هـ .

٢١ـ تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية للدكتور "محمد بن لطفي الصباغ". ط٨ ١٤١١هـ - دار مكتبة الورّاق .

٢٢ـ مجلة المجتمع العدد ١١٦.

٢٣ـ كتاب مهلاً يا دعاة الاختلاط للدكتور "محمد بن ناصر الجعوان" - مكتبة دار الضياء الرياض ط٢ ١٤١١هـ .

٢٤ـ أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء للشيخ "أحمد بن عبدالعزيز الحمدان" - دار المجتمع - جدة.

٢٥ـ البحر الرائق في الزهد والرقائق "لأحمد فريد" مكتبة الصحابة جدة ١٤١١هـ ط٢ .

٢٦ـ الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور" صالح فوزان الفوزان" المجلد الأول والمجلد الثاني ط١١ ١٤١٥هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٧ـ الداء والدواء بين الأطباء والأدباء للدكتور" حسان شمسي باشا ط١" ١٤١٨هـ.

٢٨ـ أخي الشاب كيف تواجه الشهوة "لمحمد الدويش".